رواية
إني أحيا من جديد
إسراء عطاالله
BOLBOL DESIGN

جميع الحقوق محفوظة ©فور ريد للنشر الإلكتروني

http://www.4read.net

إني أحيا من جديد

نشر في يوليو 2017

إهداء

إلى النفس الجميله التي اختصرت لي

معاني الصداقه والوفاء والتفاني في العمل .. أيمن بلبل

إسراء

نَبضُ قلبكِ , تّنفُسك

ليس دليلاً علي إنكَ علي قيد الحياة

فرُبما تكون جُثة تتحرك

فقط دُمية بلا دين , بلا حياة

ثِق تماماً بأنَّكِ بلا دين , بلا إيمان

تِلكَ الدُمية التَي لا تَشعُر بشئ

متي ستكتشف ذلك ؟

مَنٌ سيُضيئُ قلبكَ المُظلم؟

بالتأكيد هوَ الشخص الذي أحبك بِصدق ..

إني أحيا من جديد

لا يوجد لديَّ وقت

هو من جعلني أبتسمُ ثانيةً للحياة

لا لن أدعهُ يذهبُ هكذا

هو غير مُتصل الآن .. قبلَ ساعة كان مُتاحاً

لا أعرفُ لِمَ قلتُ لهُ كل هذا الكلام

شعرتُ بأنهُ غابَ في الصمتِ .. هو لا يحبُ أن يجرحني لا يريد ذلك , أعلم!

ولكن في حضورهُ أُسمِعَهُ صمتي وكلماتي الجافة

هل لأنه يحبني ؟ , لا أدري!

هو صحفي و كاتب متمرس يُعالج قضايا المجتمع ورسام ماهر يتباهى بجمال الألوان

أذكرُ في ذلك الصيف التقينا بعد عصر يومٍ شاق

كنتُ أبحثً عن كتابٍ ولاحظَ حيرتي في المكان

عرضَ عليَّ مُساعدهُ وقبِلتُ دونَ ترددٍ

إحتلَ الزمانُ في رقتهِ واتزانهِ وهدوءٍ لمْ أجدهُ في الرجال

سألني عن نوع الكتاب , أجبتهُ في لحظاتٍ أخرجَ نُسختين وأخذ يُقارنُ بين كل كاتبٍ بمهارة فنان

وقالَ الخيار لي ، تهتُ وإستنجدتُ ببضعِ كلماتٍ تَسابقتُ مع الزمنِ لأُخرجها ، وأتنفسُ الصعداءِ

أعطاني الكتابُ الذي اخترتهُ وهمسَ " : جمالكِ فتنَ المكان" !

تراجعتُ للوراءِ ، إبتسمَ وفتحَ الكتابُ ووضعَ رقم هاتفهُ

وقال " : أول مرة أتصرفُ بهذهِ الحماقاتِ ولكن أنا غير الرجال

إن شعرتي بي إتصلي وإن لم يكُن لي وجودٌ إختاري النسخة الأخرى دون تردد أو إستفسار "

أشعلَ الدنيا وغاب!

هو مُتصلٌ الآن سأبعثُ له رسالة إطمئنان

سَهر : كيفَ حالك ؟"

عُمر " : كما هو حالكِ تائهٌ في دُنيا الكلامِ "

..صَمت..

عُمر " : هَل عُدتي للصمتِ ؟"

سَهر " : رُبما هوَ أبلغ الكلآمِ" !

عُمر " : إبقي معهُ وإبني مُدن الأحلامِ"

سَهر " : لا تَجعلني هكذا بلا عنوان"

عُمر " : عنوانكِ هوَ الحُبُ يكفي هذيان"

أُريدُ أنْ أنام " سَهر" :

عُمر " : إذاً هوَ الهُروب"

تُصبحَ علي خير " سَهر" :

عُمر " : إبتعدي عَني في الأحلامِ لا أريدُ أن أكونَ نِصفكِ بالأوهامِ"

وددتُ الإطمئنان عليك " سَهر" :

إني أحيا من جديد

عُمر " أنا جيد وأتنفسُ الهواء ليستُ مريضاً ، تناولتُ الطعام وشربتُ فنجاناً من القهوةِ وأحرقتُ عُلبة سجائر وخرجتُ مِن بين الدخان .. لا تقلقي نامي ملئ العينين ما زِلتُ أتنفسُ الهواء"

جيّد تُصبح على خير " سَهر" :

عُمر " : احلمي بي في ليالٍ قمريّه أُريدُ أن أكونَ نِصفكِ لا تجعليني أتفوهُ كلمات تُحرقني ، لا أُحبُ الكلام"

أُكتبَ لي قصيدةً تُحاكي الشِعرَ والألحان " سَهر" :

عُمر " : أودُ أنْ أنام أُكتبي ما أردتي أن أقولهُ ، ولكِ الحق في جميع الكلام"

أَمضي صَباحاً إلى عملي أُراقبُ الناسَ مِن خلف زجاج سيارتي

أشعرُ دوماً أنني أعيشُ في قوقعةٍ أنا مَن سجنتُ نفسي بها

كل شئٍ يلفتُ نظري وإهتمامي

أضحيتُ أقرأ وجوه الناس أضعُ نفسي خلف تِلكَ الشخصيات وأقومُ بأدوارهم

عابرُ سبيلٍ في هذهِ الدُنيا ، يُوجدُ شئ ينقُصني

في عِز فرحي هُنالك شئ يُؤلمني يُضيّقُ أنفاسي يجعلُني أبتعدُ لأكون وحدي

إعتدتُ الوحدة هي مَن تُعطيني شعوراً بالراحة

أركِنُ العربة بالقربِ مِن كابينة قهوة صغيرة وقديمة لا أدري لِمَ أشتري مِنها قهوتي

نظرةُ التفاني والتعب الذي أراهُم في الشاب الصغير الذي يُعدُ القهوة تجعلني أترددُ دائماً إلى هذا المكان

إني أحيا من جديد

رُبما لأُثبتَ لنفسي كَم نحنُ عاطفيونَ مع الذين جعلتهُم الحياة في الجانبِ المُظلم منه

أو بشكلٍ أدق , يُعذبُنا ضميرنا في التجاوز علي من أثرواْ بِنا

عُمري " خَمسةٌ وثلآثوُنَ عاماً " 35 " وإسمي " عُمر"

أعملُ صحفي في صحيفة مشهورة ولي سُمعتي المهيبة في المجتمع

سُمعتي الكبيرة شئ مُضحك أري الهتافات والأسماء المُصطنعة التي تُطلَق عليَّ

وأتسائلُ لِمَ هذا النِفاق ! هو شئ مُتعبٌ جداً أن يضعونكَ في حيّز

مِن صُنعِهُم هُم ويُحاسبونكَ علي القابِهم

أنتَ دائماً المُتهم في تقيمهم..

في لِقاءِ أنفُسنا نبحثُ عن معاني الحياة من وجهةِ نظرنا

نُقيمُ ذاتنا وفي نهايةِ المطافِ نشعرُ بالضياعِ

ما فائدة الشهادات ؟ ما فائدة الشهرة وأنتَ لمْ تضعَ المعنى لرحلتك!

صِراعٌ داخلي يجعلُني أاكتوي ألماً , أنظرُ أمامي لأجد آية الكُرسي المصنوعةُ من النحاسِ

أقرأها أتفكرُ بها , أرتاح..

أضعُ رأسي علي مقود العربةِ أتنفسُ بعمقٍ أذكرُ كلام أُمي عن الصلاة والجنة والنار

كلامها يمرُ أمامي مِثل ومضاتٍ تُشتعلُ ضوءً وتُنطفئ

أستفيقُ علي ضربةٍ قويَّةٍ علي الزُجاجِ

لأجد الشاب الصغير يحملُ القهوة وينظُرُ إليَّ كأنهُ يلومني علي شئٍ لا أعرفُ سببه

آخذُ مِنهُ القهوة وأمضي في طريقى لا أنوي علي شئٍ سوى الهُروب مِن واقعي

مَشفي كبير لرعايةِ المُسنين ، كُل صباحٍ أحثُ الخُطي إليه

أذكرُ في سنواتِ دراستي الأخيرة حيثُ آمالنا الكبيرة في غدٍ بلونِ السماءِ

كانت طُموحاتي مِن بين زملائي هي القليلة ، وددتُ دوماً أن أُساعد كِبار السِن

جدتي التي كانت دوماً مَعي في سفرٍ والدي ، هِي مَن جعلتني ألجأُ لهذا المجال

الأعمال الإنسانيَّة هي فحوي رسالة مِهنة التمريض وهدفها الأسمي وكان خياري كِبار السن..

الأشجارُ الصامدة في ميادينِ الحياة مَن يعطواْ بدون مقابلٍ ويُقابلون بالهجرانِ!

في النكرانِ نُمثلُ دور الشيطان ، نأخذُ الحسنات ونُجاهرُ بالسيئاتِ

سيئات أفعالنا أو رُبما نُجاهرُ بحقيقةِ أرواحنا ، أرواحنا الجشعة

ومجموعةُ شعاراتٍ أكبرها ظروف الحياة

أُعاهدُ روحكِ يا جدتي أنْ أُحاربَ مِن موقعي كُل ضعيف نفسٍ يُحاولُ أنْ يقسواْ علي نسائم الخريف

نظراتُ الحنينِ في عيونهم تشكي للزمنِ قصصُ الشقاءِ والخذلانِ ، تنسجُ هالةً مِن البياضِ تُحيطُ وجوههم

في لحظةٍ مِن الزمنِ تَودُ أنْ تُحاكمَ جميع الأبناءِ أنْ تسجُنَهُم في غرفٍ لا تصلُ إليها الحياة أنْ تذيقَهُم مِن الألمِ ما يُشعِرهُم بوجعِ الخيانةِ وحياة الذُل

الذُل الذي يصنعوهُ بالخفاءِ..

ها قَد بدأت تُمطرُ أفتحُ يدي لملامسةِ قطرات المياه أتوقفُ للحظات أسمعُ بِها صوتُ الحياةِ في شارعِ الذكرياتِ

عشرةُ سنواتٍ أعملُ بِها وفي كل يومٍ يتجددُ الأمل بداخلي وأُقويه بالثقةِ بالله

إني أحيا من جديد

أصبحتُ أُماً لكلِ مَن يدخل إلي المشفي ، هُم أطفالٌ يَطلبونَ الإهتمام

أُكملُ طريقي ورائحةُ الترابِ المختلط بالأمطارِ تُرطِّبُ قلبي المُرتجفُ في ذكري خواطر الماضي

أترُكها وأستجيب للصفاءِ في نهايةِ الطريق وعند بوابة المشفى أجدهُ هنا ! بآغَتَهُ بسؤآلٍ " : عُمر ماذا تَفعلُ هُنا ؟"

نظرَ إليَّ مُطولاً وقالَ " : أودُ أنْ أُحدثكِ ولو لبضعِ لحظاتٍ"

سهر " : إني أسمَعُك"

عُمر " : هُنا في الطريقِ وسط الزحام" !

سهر " : أنتَ تعرفُ موقفي لا تستدعي الإستغراب"

عُمر " : لحظات , إني أشعرُ بالغيابِ عن نفسي وعن .. رُبما تودي الإنسحاب"

سهر " : لمْ أُفكرَ في هذا ... أمممم حسناً لبضع لحظات فقط"

عُمر " : هُنآكَ مقهى قريبٌ بجانبِ المشفي .. أشكركِ بإمتنان"

بمقهي كبيرٍ واجهتهُ الاماميَّة مصنوعةٌ مِنَ الزُجاجِ وبداخلهُ كانَ يُحاكي الطابع الشرقيّ ممزوجاً ببعضِ الملامحِ العصريَّة

ليثبِتُ في رُمزيتهُ التفرد بكُل عفويَّةٍ ، جلسنا بمقابلة بعضنا وجهاً لوجهٍ

وكانت هي المرة الأولي وعلي لسانِ كلاً مِنَّا كلمات لو أعطينا لها الحُريَّةُ لنسجت مِنَ القصصِ ما لا يحتملهُ السُكات!

وفي ثورةِ الكلامِ سادَ الصمتُ الثقيلُ الذي بددهُ هوَ

وقالَ عُمر " : أصبحتي في فترةٍ قصيرةٍ عاصمتي التي ألجأُ إليها عندما أشعر بالضياعِ ، أنتِ ولا أحدَ غيركِ مَن يجعلُني أشعر بالأمانِ

لديكِ شيئاً يجعلكِ مُختلفة حتى أنني لا أقوي على الكلامِ ففي حضرتكِ ترتبكُ المفردات"

سَهر " :إني أسمعكَ قُل ما تشاءُ إني قريبةٌ إليكَ وأفهمُ ما تعنيهُ بَلا عناء ، قُل إنني معكَ وأسمعك"

عُمر " : سَهر تحدثي كلميني عن الإطمئنان"

-سَهر - وقد نظرت إلى عُمر وأخفضت نظرها إلي فنجانِ القهوةِ وأمسكتهُ بيديها كأنَّها تلتجئُ إلي الدفئِ وقالت " : عُمر هل تؤمنُ بالله ؟"

-عُمر - وقد صمتَ لبضعِ لحظاتٍ ونظرَ إليها بتحدٍ باد علي عيونه " : دوماً تُجيبي عن السؤالِ بسؤالٍ يا سَهر" !

وأخفضَ رأسهُ نحو الطاولةِ وإعتصرَ جبهتهُ بيديهِ وقال " : أشعرُ بالإختناقِ من العالمِ ولا أجدُ الراحة سوي بكلماتكِ .. كلماتكِ أنتِ" ..

ورفعَ رأسهُ ونظرَ إليها كالغريقِ يُريدُ النجاة ودمعاتَهُ عالقةٌ بمقلتيهِ تُحاكي الأمانِ ، هيا سَهر حدثيني عن الإطمئنانِ"

-سَهر - وقد إبتسمت إبتسامةً رقيقة حتي تُشعرهُ بالأمانِ وبنظرةٍ حانيةٍ مِن مُقلتيها قالت " : تَجدهُ في هذهِ الآية مثلاً (قُلْ لَنْ يُصِيبنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا) "

قالتها وهي خاشعةً كالملائكةِ جعلت المكان يعجُ بالصفاءِ

وأردَفت " : أعني أنكَ إذا آمنتَ بها يطمئنُ قلبكَ ويزهدُ بالحياةِ ، عندما تتقبلُ كل شيءٍ يحدثُ لك ، ويكونَ عندكَ يقينٌ أنهُ من الله

والبشرُ ليس لهُم أيّ يدٍ في هذهِ الحياة ، الله لهُ اليد الفاعلة وتصبر عليهِ لأنهُ إبتلاءٌ من الله إمتحنكَ به

وإن صبرتَ نجحتَ ونجوت .. الفكرةُ التي أحببتُ أنْ أوصلها لكَ أنَّ الله إذا أحبَّ عبداً إبتلاهُ أنْ تأخُذ موضوعَ الإبتلاءِ بمحبةٍ لأنهُ مَن الله ، اذا بحثتَ في هذا النقطة ستجدُ الإطمئنان"

- عُمر - وقد إبتعدَ بفكرهُ بضع لحظاتٍ وهو يتأملُ الطريق مِن خلالِ النافذةِ وأخذَ نفساً عميقاً ووضعَ كفهُ علي لحيتهُ الأنيقة والخفيفة وأخذَ يتفكرُ ويعبثُ في ذقنهِ

وقال " : حينما أنظرُ إليكِ هكذا وأبتسمُ أستغربُ وأتسائلُ عن سبب إطمئنانكِ ، السكينةُ التي تصنعُ حولكِ هالةً مِن الإرتياحِ تدعوني للتعجبِ منكِ ، ما السرُ في ذلكَ أجيبي لو سمحتي.."

سَهر " : في ظل نجاحاتي وإنكساراتي في الحياةِ علمتُ أنَّ رزقي لنْ يأخذهُ غيري فاطمئنَ قلبي كُنت أبحثُ عن ثمرة الإطمئنانِ فعلمتُ أنها في الرِضا"

وأبتسمتْ فبانَ الرِضا على ملامحَها وجعلها كالأميرةِ في المكان

عُمر " : الرضا الذي تتحدثي عنهُ لا أجدهُ إلا في محياكِ أنتِ ، لم أجدهُ في كتاباتي ولا في قضايا المجتمع التي أُناقشها وأكون الأبرزُ في تحليلها وحلها ، أين هوَ الرضا" !

-سَهر - وقد إعتلي وجهها حُمرةً مَن الخجلِ وكفرسةٍ أصيلةٍ لمْ تستسلم له

خرجت الكلمات مِن وسطِ الصراع وقالت " : لديكَ أسلوبٌ عجيب في حل قضاياكَ أنت تلتجئُ دوماً للأشياءِ الماديَّة تنفي المشاعرُ تنفي آراءَ الدين أجدكَ تلتجئُ للعلمانية

سأجاوبكَ عن الرِضا .. أنْ تستمتعَ بما أنتَ فيهِ هو رِضا ، أنْ لا تتخوف مِن المستقبلِ ولا تيأس مِن الفرجِ هُنا تشعرُ بالرِضا" ..

عُمر " : سأتغاضى عن أُسلوبي أنا هُنا لأسكن َوأطمئن ، لنْ أُناقشكِ في عملي الآن .. نحنُ نتحادثُ الآنَ كإنسانٍ يودُ أنْ يتعلم شيئاً يلاحقهُ مِن سنواتٍ"

ونظرَ إليها وأكمل حديثهُ قائلاً " : دعينا مِن العملِ وقولي لي .. ماذا أفعلُ الآنَ في لحظاتٍ أجدُ نفسي فيها شِبهَ الأمواتِ"

"سَهر " وقد سرحت إلى الطريق تُناجي الله كي يطمئنَ قلبهُ ويرشُدهُ إلي الحقِ

ثُمَّ نَظرت إليهِ وقالت " : إكثاركَ مِن ذكرهِ يُبسطُ خاطركَ ، يُهدأُ قلبكَ ويُسعدك ، ثُمَّ يرتاحُ ضميرك

هوَ قريبٌ إذا دُعي وهوَ سميعٌ ومجيب ، رَدِد أسمائهُ توحيداً وثناءً ومدحاً وسوف تجدُ السعادةَ والأمنَ والسرورَ والنور

ويبتعدُ عنكَ شبحَ الخوفِ والقلق"

ثُمَّ نظرت إليهِ والتقت عيناهُما كالألقِ الذي اشتعل في المكانِ وأخبرهُ كم هي رائعةٌ ومنفردٌ عن النساءِ

عُمر " : والذنوب ! إعلمي يا سهر أنني لا أُحدثُ أحداً عن مخاوفي سواكِ ، لن أستطيعَ ذلكَ أعلمُ أنكِ تتفهميني لهذا أتحدثُ معكِ أنتِ أنا أكشفُ أوراقي علي طاولتكِ وأعلمُ مَن تكوني لهذا اجيبيني "

-سَهر - وقد أخذت تتحسسُ الطاولة التي أمامها كأنَّها تبحثُ عن شئٍ لا تدري ما هوَ وتوقفت وقالت " : تجدُ الأمانَ عندما تعلمُ أنَّ اللهَ يغفرُ الذنوبَ جميعاً إذا كانَ إيمانكَ ورجوعكَ للدينِ حقيقياً"

ونظرت إليهِ وأكمَلت " : قُل دائماً أستغفرُ الله الذي لا إله إلا هوَ الحيُّ القيومُ وأتوبُ إليه "

عُمر " : وهل سأجدُ السعادة يوماً ؟"

-سَهر - وقد إبتسمت هذهِ المرة كإبتسامةِ الحُكماءِ وقالت " : طمانينةُ القلبِ أفضلُ مِن سعادته ، لأنَّ السعادةَ وقتيَّةٌ والطمأنينةُ دائمة"

وبعدَ هذه الكلمات حلَّ الصمتُ وكل واحدٍ منهُما في دُنيا أُخري يفكرُ في الطرف الآخر وقد قطعَ هذهِ المرَّة أيضاً - عُمر - الصمتَ وقال " : حدثيني عن الحُب"

-سَهر - وتوردت وجنتيها كما الأزهارِ في خضمِ الربيع الزاهي وقالت " : الحبُ تجدهُ مع الله حينها تجدُ السلام والعفو والتسامح والوِئام ، الحبُ أسمي مِنَ الكلامِ هوَ أفعالٌ هوَ أسمي أيضاً مِنْ مشاعرِ الإعترافِ

هوَ الروحُ الصافية وأكبرُها محبةُ الله ، أسعدُ الناس من كانت غايتهُ الكُبري محبة الله"

-عُمر - وقد كانَ ينظرُ إليها بإعجابٍ واضعاً يدهُ علي ذقنهِ ومستنداً بساعدهُ إلي الطاولةِ ، حدثيني عن حُبي لكِ؟"

سَهر وقد إنتفضت مِنَ السؤالِ ودارت تُصاعِدُ أنفاسُها ونظرتهُ التي صوَّبها نحوها ووضعت يدها علي مُؤخِرة رأسها كي تهدأ وتستعيدُ توازنها

أغمضت عينيها كأنَّها تستعيدُ شيئاً تَحضَّرت لتقوله أو تدربت عليه مُسبقاً

نظرت إلي مَزهريَّة الورودِ أمامها وقالت " : حسناً سأُخبركَ بشيءٍ ولكِن إسمعني حتى أُتمَّ كلامي لآخره"

عُمر وقد شبَّك يديه علي صدرهِ ونظرَ إليها مُستفهماً " : حسناً تفضلي"

سَهر وقد بدأت ترسمُ حلقات علي الطاولة مِثل زوبَعة الضياعِ اللامُتناهية وقد إنتبه لها عُمر وضايقتهُ تِلكَ الحركة:

"سأكونُ معكَ ناضجةٌ أو بالأحري صريحة لأبعدِ الحدودِ ، أنا لا أُخفي عليكَ أنني لا أُنكِر هذا الإحساس الذي إجتاحني في هذهِ الفترة

هكذا بدون مقدماتٍ لقد وصلني هذا الشعور ولاقي إيجاباً وترحيباً لديَّ"

ونظرت إلى عُمر الذي تورد وجههُ وأصبحَ يُضئ بالحياةِ ، ولكنهُ زادها توتراً فأرجعت ظهرها للخلفِ وأصبحت أكثرَ ثقةً بما تقول

وأردفت بنبرةٍ تسودها العُمقِ " : سأُكلمكَ كفتاةٍ ناضجةٍ تقرأُ الأحداث والظروف بمُنتهي الدقة ، الحبُ ليس مشاعراً تُلاقي بالقبولِ والإيجابِ"

وقد هبطَ صوتُها فجأةً " : الحبُ أكبرُ وأسمي من ذلكَ هو تكاملٌ وإكتفاءٌ وإحتواءٌ في آنٍ واحد"

عُمر وقد إستعاد كشرتهُ في وسطِ الفرحةِ التي كانت ترسمُ محياهُ وأصبحت نظرتهُ مُتسائِلة حائرة ، وقد أدهشتهُ النغمةُ الجديدة التي تحدثت بها سَهر وإستفزتهُ وجعلتهُ ينظرُ لها بجِدَّة أكبر " : إني أسمعكِ .. تحدثي "

سَهر " : حسناً .. إليكَ ما أُفكرُ بهِ في سنواتِ دراستكَ وتخصصكَ بالخارج أعلم أنَّ في هذهِ الفترة تشكَّلت شخصيَّتك وتبلوَرت وظَهرت نتائجها ومؤثراتها في أفعالك وقناعاتك أتفهمُ هذا جيداً"

وصمتت للحظاتٍ كي تُعيد صوتها إلى مستواه المطلوب ولكن بأكثر حِكمة " : لكن أنتَ تعلمُ أننا نعيشُ في مجتمعٍ شرقي ، لهُ إحترامهُ وعاداتهُ وتقاليدهُ التي تُنكرها أنتَ دوماً"

وقد رَفعت حاجبها الأيسر مع إنتهاء هذهِ الجُملة إستنكاراً أو رُبما توضيحاً مع ملاحظة

وأكمَلت " : لكِن أعلمُ أيضاً أنني جُزءً مِن هذا المُجتمع الذي تَتنَكر عليهِ أفعالهُ بل والأكثرُ مِن هذا أنني فتاةٌ وأنت تعلمُ أيضاً حساسيَّة الموقِف بهذه الجُزئيَّة

ولكن الأهم مِن هذا كُله وهو محورُ النقاشِ هو الدينُ ورأيهُ الواضح في هذهِ العلاقاتِ ، وعُذراً منكَ لا أودُ المناقشة في هذهِ النقطةِ لأنني علي معرفةٍ تامةٍ أنَّ ما أقولهُ الآن هو الحق"

عُمر وقد إزدادَ توتُراً وضِيقاً أكثر مِن ذي قبل " : أفهمُ أنكِ توصلتِ إلي نتيجةٍ من حديثكِ .. تفضلي وأخبريني بكُل وضوح"

سَهر وقَد نظرت إلي عُمر وقالت " : إذا اردتني صديقةً فقط ، كُنتُ لكَ هذا ولكِن أنْ نتعاهد أمام الله علي الأخوة

أمَّا إذا كُنتَ تُريدني حبيبةً لكَ فليسَ لديكَ سبيلٌ لديَّ إلا شرع الله وسنة رسوله وهو الرباطُ المقدس

هذا جوابي عن صدِّكَ وكلامي الجاف في المحادثاتِ ، وإعلم بل كُن علي ثقةٍ أنني لا أسعي لشيءٍ سوي أن تكونَ روحي طاهرةٌ مرتاحةٌ عندما تدعواْ الله في صلاتها ، لن أحتمل صورة المُنافقةِ التي تُشعرُ بالخجلِ عندما تُناجي الله"

ثُمَّ نَظرت إلي الطاولةِ وأردَفت " : أمَّا عنكَ فأنا أعلمُ أيضاً أنكَ تشعرُ بعدم الإستقرارِ ولا تعلمُ ما تُريد ، خُذ وقتكَ في التفكيرِ أنا قَد حررتك الآن مني

إبحث عن نفسكَ وإن وجدتَها أنا متأكدةٌ أنكَ ستسعي إليَّ وتتفهمني أكثر "

عُمر وقد وضعَ يدهُ علي جبينهُ كأنَّهُ فقدَ شيئاً ثميناً وزاغت عيناهُ " : لن نتحادث أبداً ؟ "

سَهر " : أعِدكَ .. سأكونُ في كلِ ثانيةِ معكَ ولكِن" ..

عُمر : ولكن ماذا يا سَهر" !

سَهر " : ستكون المحادثة رسميَّة جداً وأنْ ننتَقي الكلمات كي نكونَ واضحينَ أمام أنفُسنا ومرتاحين "

عُمر " : لكِ ذلك" ..

سَهر " : لقد تأخرت أستأذنك .. مع السلامة"

وقامت مُسرعةً كأنها تنبهت إلي أمر ما

عُمر " : مع السلامة"

أخذَ ينظرُ " عُمر " إلي المكانِ وقد زادَ شعورهُ بالغربةِ

لقد كانت " سهر " ملجأهُ الوحيد الذي يحتمي بهِ في عثراته مع نفسه أو رُبما مع العالم أجمع !

إنني أكرهُ الشتاء يُذكرني بوحدتي وضياعي في أيام دراستي

الألمُ يعتصرُني بقوةٍ أكبر هذهِ المرَّة

"سهر " هي الضوءُ الرفيعُ الذي يُنير عتمة روحي لا أستطيع أن أفقدها بلحظة

وهي تتحدثُ ودتُ أن آخُذها مِن يديها وأضمها إليَّ وأعصرُ جبهتها في صدري

أنْ أسمعَ صدي صوتها الهامسُ مهما حاوَلَتْ أنْ تجعلهُ مُرتفعاً يبقي هامسٌ ويُناجي قلبي بل يُبعثرهُ في كُل كلمةٍ تقولها

عندما قابلتُها بالمكتبةِ كأميرةِ الأساطيرِ خرجت مِن بين الكتبِ لتُحاكي الأناقةَ والهدوءَ والسِحر

أَمسكَ الهاتفَ وَكَتبْ " : سَهر " ..

سَهر " : هَل هُناكَ شيئاً يا عُمر ؟"

عُمر " : لا تترُكيني أرجوكِ أنا لا أقوي بدونكِ ، أنا لستُ بخيرٍ "

سَهر " : سأكونُ معك .. فقط إبحث عَن نفسكَ لنسعد أنا وأنتْ"

وأكمَلتْ " : عُمر " أنا لا أقوي مِن كلماتكَ هذهِ أرجوكْ ، أرجوكَ تحلي بالصبرِ والشجاعةِ ليسَ مِن أجلكَ بل مِن أجلي ... عدني بذلك"

"عُمر " وقد أُغرِقَتْ عيناهُ بالدموعِ ، أعِدُكِ بذلك... أعدك

إني أحيا من جديد

أغلقتْ " سَهر " الهاتفَ وقد وضعت قُبعةُ العباءةِ علي رأسها إحتماءً مِن الشتاءِ ومِن مشاعرها ودموعها الغالية عليها

وأخذتْ تمشي بسُرعةٍ عاليةٍ لكي تهربُ مِن نظراتِ الناس أو مِن فضولِ الشتاءِ المُنهمر فوق رأسها ووصلتْ المشفى وبكثيرٍ من الهمةِ العالية توقفت عن البُكاء وحبست دموعها

دخلت بكل ثقةٍ لتواجه الدكتور في قاعِ الإنتظارِ ومعه مُسنه جديدة وترافقها قطة صغيرة

الدكتور " : أهلاً سَهر قد كُنتُ أنتظِرك , لقد تأخرتِ اليوم علي غير عدتك"

سَهر " : نعم كنتُ مشغولةٌ ببعضِ الأمور .. أعتذرُ مِن التأخير"

"الدكتور " وقد أشارَ للعضوةِ الجديدة ، زهرةٌ جديدةٌ ستنضم إلي زهورِ الخريفِ وأبتسمَ الدكتور إبتسامةً تدلُ علي الحزنِ المخيف

سَهر " : اهلاً بكِ سأُرافقكِ إلي غُرفتكِ ، هل هي قطتك ؟"

نظرت المُسنةُ إلي " سَهر " وقالت " : نعم إنها طفلتي وإبنتي التي تعتني بي وتُحبني"

نظرت " سَهر " إلي الدكتور الذي غادرهم مُسرعاً دونَ تعليق

فقالت سهر " : سآخذُكِ إلي غُرفتكِ الآن وأتمني أنْ تُعجبكِ"

المُسنة " : طالما أنتِ ظريفةٌ هكذا ستُعجبني جداً"

"سَهر " وقد إبتسمت رغمَ الألم الذي يعتصرُها " : أتمني ذلكَ"

وأخذتْ تَدفعُ الكرسي بإتجاهِ الغُرفةِ ودموعها تنهمرُ بلا رَحمةِ

أمسكت " المُسنة " يدها وقالت " المُسِنة " : " ما بِكِ يا إبنتي لماذا تبكي"

"سَهر " وقد أجهشت بالبكاءِ حينما سمعت كلمة يا إبنتي لقد زادت هذهِ الكلمة مِن حُرقتها فهي لمْ تسمعها مِن أُمها

أُمها التي خرجت مِن الدُنيا مُنذ أنْ دخلت سَهر لها

كَم تحتاجُ إلي هذهِ الكلمة الآن ! الآنَ فقط عرفت معناها ووقعها علي قلبِ الإنسان

قالت " سَهر " بكلماتٍ مخنوقةٍ " : لا شئ"

المُسِنة " : مهما حاولتي إخفاء ألمكِ لنْ تستطيعي ذلك"

ثُمَّ ضغطَت علي يدها وقالت " : إبكي .. إبكي يا ابنتي فالدموعُ تقولُ ما لا نستطيعُ التحدث عنه

الدموعُ رغم ألمها في المقلِ تغسلُ القلوب"

تركت " سَهر " الكُرسي وجلست علي الأرضِ وبسطت يداهيا علي أرضِ الممرِ

وأخذت تبكي وتنشجُ الدموع بصوتٍ مخنوقٍ وهي ترفع رأسُها وجسدها إلي السماءِ فهي تراها رغم السقف الموجود ، ولسان حالها يُناجي الله

إقتربت مِنها " المُسِنة " وقالت " : تعالي يا إبنتي ووضعت رأس " سَهر " علي ركبتها وأخذت تمسحُ علي رأسها وتقرأُ بعض سور القرآن

وبعض لحظاتٍ من الصمتِ..

نَطقت " سَهر " وبصوتٍ أقربُ إلى التوسلِ " : أحتاجُ إلي جدتي .. أشتاقُ إليها كثيراً ، هل اقولُ لكِ جدتي ؟ أعني أنها كانت أُمي التي لمْ أراها مِن قبل ، أرجوكِ هل تسمحي لي بذلك ؟"

أخذت المُسِنة تبكي بحُرقةٍ وتقولُ " : ويخلقُ الله لكِ أبناءً لمْ تلدهم من رحمك ، نَعم يا إبنتي قولي لي جَدتي .. جدتي عائشة "

خَرجت إبتسامة بطعمِ الجمال والملائكيةِ مِن " سَهر " مصحوبة بدموعٍ بلونِ الحنينِ "نعم جدتي ، جدتي عائشة"

وأخذت تتضاحكُ كما الأطفالِ في رؤيةِ الفرحِ والفرج بعد أن غابَ عنها الأمانِ"

في الطرفِ الآخر مِن زمنِ الصورةِ كانَ " عُمر " يجلسُ إلى مكتبه يُعالج قضايا الناس وكلمات " سَهر " تزدحمُ في مُخيلته كمطرقةٍ

وينظرُ إلى قضاياهُ بزاوايا مُختلفة جعلتهُ ينسى نفسهُ

إلي أنْ إستفاقَ علي طرقاتِ البابِ

عُمر " : تفضَّل"

عبير -سكرتيرة عُمر " : - مرحباً أُستاذي ، وددتُ أنْ أستأذنَ للإنصرافِ"

عُمر " : أهلاً عبير ، هَل هُناك أمرٌ طارِئ"

عبير " : لقد تأخرَ الوقتُ أُستاذي وأنتَ مُنهمكٌ في العملِ لمْ تصرفني اليوم لذلكَ تأخرتُ عن صلاتي ، أود الذهاب بعد إذنك"

:عُمر " وقد نظرَ إلي الساعةِ ووضعَ يدهُ علي رأسِه " : نعم معكِ حقٌ .. عُذراً لم أنتبه إلي الوقت ، هل تُصلي يا عبير"

عبير " : بالتأكيد أُصلي أُستاذي .. الحمدُ لله"

"عُمر " وقد إبتسمَ لعبير " : جيَّد .. إنَّهُ أمراً جيَّدٌ جداً"

عبير " : ليسَ الموضوعُ أنَّه جيداً أم لا ، هوَ أمرٌ ضروريٌّ جداً"

"عُمر " وقد نظرَ إلي " عبير " وتركَ قلمهُ علي المكتب وإعتدل في جلستهِ وقال : "لا أودُ أن أُأخركِ ، لكِنَّ القليل مِن الشرح لتوضيح الفكرةِ يكفيني إنْ إستطعتِ"

عبير " : حسناً أُستاذي هي كلمات بسيطة ودقيقة سأقولُها لكَ كي لا أتأخر ، وأتمنى أنْ أوفيها حقها بالشرحِ

الصلاةُ نعمة مِن نعمِ الله علينا ، هي فرضٌ إن سقطَت سقطَ العملُ كلَّهُ

تُرفعُ درجاتنا عند الله سبحانهُ وتعالي ، تُزيلُ الخوف والمرض وتشرحُ صدركَ للحياةِ

أمَّا من تركها سيشعرُ بالحزنِ والشقاءِ وتصبحُ حياتهُ مِن نكدٍ إلي نكدٍ آخر

الصلاةُ هي أكسجينُ الحياةِ وبهجتها ، هذه فكرتي بإختصار"

"عُمر" وقد تجاوزت كلمات " عبير " كُل التساؤلاتِ

جاءَ ردها كالصفعةٍ قدمتها الحياة لهُ عندما توقع ولو للحظةٍ أنَّهُ عالماً بكل شيءٍ واكتشفَ بدقائقٍ أنَّهُ لا شئ

ثُمَّ ردَّ وقال " : اها فِكرةُ وافية جِداً وشاملة ، شُكراً لك يا عبير ورافقتك السلامة"

عبير " : أشكُركَ أُستاذي .. مع السلامة"

وقفَ " عُمر " أمامَ نافة المكتبِ وقد إزدادَ تساقطُ المطرِ إزدادَ إختناقَهُ أيضاً مِن الشتاءِ وذكرياتهُ الأليمة في وحدته

هُناكَ لمْ يستطع أنْ يندمجُ ، هناكَ كانواْ يُعاملونهُ كإرهابي لأنَّه مُسلمٌ

كانواْ يُهمّشونهُ ويتعاملونَ معهُ بإزدراءٍ وكان مصدر شكٍ في كلِ شئ

وحينما عادَ إلي الوطنِ شعرَ بغُربةٍ أكبر لأنَّهُ وجدَ نفسهُ مختلفاً أيضاً

والغربةُ بالوطنِ والأهلِ أصعب أنواع الغُربة ، هُم مختلفين

هُمْ!!

هَل أصبحواْ هُم وأنا لا!

لنْ أصلَ إلى هذهِ المرحلة ، سأزورُ كل أقاربي

أنا لي جذورٌ هنا ، أنا منهُم وهُم مني

وبيننا فقط تعاليمُ الدينِ ، فقط لا غير

أعلمُ أنني سأجدُ نفسي بينهم

وأخذَ يُفكرُ قليلاً ثُمَّ جائت في باله خالته

نعم هي خالتي سأذهبُ لأزورها حالاً ، كَم كانت تحبني وأنا صغيرٌ

أذكرُ ذلكَ الكعكُ الذي كانت تعدهُ لي ، رائحةُ جوز الهندِ تجتاحُ أنفي منهُ

كانت تجلسُ وترفعُ جسدها كما الأميراتِ وشعرها معقوفٌ للوراءِ

كانت جميلةٌ كحسناءٍ هاربة مِن لوحة فنيَّة

لقد إتصلت بي في أول يومٍ عُدت فيه للوطن ، ولكنَّ المشاغلُ والعملُ شَتَّتوني فنسيتُ أنْ أزورها

سأذهبُ إليها حالاً..

في ذلكَ الحيُّ البسيط المُتعبُ من جري الأيامِ والسنين

وقفتُ وكُلِّي إندهاشٌ أنَّني لا زلتُ أعرفُ الطريق

لقد ساقتني ذكرياتي إليهِ

شعرتُ بلمسة أُمي الناعمة وبطيفها يأخذُني إلي بيت خالتي

كنتُ كالسرابِ أمشي بخُطي مِن هواءٍ

البياضُ يكتسي مُخيلتي ، النورُ يعجُّ بالمكانِ

وأنا الآن طفلٌ يمشي بلا إهتداءٍ وراء أمهُ

وصلتُ إلي البيتِ ، رفعت أُمي يدي

طرقنا أنا وهي الباب ، مسحت أُمي علي شعري وهمست ببضعِ كلماتٍ

كلماتٌ جعلتني أنظرُ مليَّاً إلي الجانبِ الذي مشينا بهِ أنا وأُمي

مددتُ يدي أبحثُ عنها لكِنْ تبخَّرَ طيفها وتبخَّرتْ الكلمات مِنّي

وددتُ أنْ أُمسكَ طيفها للحظاتٍ وأنْ أهتف بإسمها وأقولُ لها إشتقتُ إليكِ يا أُمي

أو رُبَّما وددتُ أنْ أُعانقها وأشمُ رائحتها الطيّبة

خالتي - نور - التي نسيتُها للحظاتٍ وتسائلتُ لِمَ أنا هُنا!

ثُمَّ وجتُها واقفةٌ أمامي وبكلماتٍ ترحيبيَّة كثيرة وأشواق لمْ أسمع منها شيئاً مسكت يدي وضمَّتني إليها

كَم كنتُ أحتاجُ عناقِها هذا بشدَّة!

أدخلتني إلي البيتِ كالطفلِ الصغير فأعادتني إلي الأيامِ الجميلة

وبنظرةٍ سريعةٍ إلي البيتِ أصابني الذهول ، كأنَّهُ يتحدي الزمن بشكلهِ الصامد لمْ يتغيَّر بهِ شئ

ما زالَ مُحافظاً علي جمالهِ وكذلكَ خالتي ، جمالهم عريقٌ وأخَّاذٌ..

ذلكَ الجمالُ الذي كُلَّما تقدم العُمرُ إزداد تألقاً وأصالةً وعفويَّة

وبلحظةٍ ظهرَ شابٌ صغيرٌ أمامي ، وسلَّمَ عليَّ مُستنكراً ومُستغرباً مِن إحتفال أُمهُ بي

حتي أزالت خالتي هذا الإستنكار بكلماتٍ مِنَ المحبَّةِ والطيبَة " : هذا عُمر إبن خالتك يا آدم "

-آدَم - وقد إبتسمَ ابتسامةً صفراء بعضَ الشئ " : إذاً لقد قابلتُ اليوم غريمي الذي كانت أُمي تقارنهُ بي طوال سنواتِ الدراسةِ إلي الآن"

ضحكنا جميعاً وتذكرتُ يوم ولادتهُ وصوتهُ الباكي عندما جاءَ إلي الحياةِ وفرحةُ أُمي وزوج خالتي

لقد كَبِرَ جداً حتى أنني نسيتهُ تماماً وسعدت جداً لملاقاتهِ

كَم كُنتُ أتطفلُ عليهِ وأنا صغيرٌ وأُلاعبهُ وأشتري لهُ بعض الألعاب البسيطة متأملاً أنْ يُحبني أنا وحدي في العائلةِ وأكون المميَّز بالنسبةِ إليه

كَم كُنتُ أغار مِن حُب خالتي لهُ فقد كنتُ طِفلها الوحيد وكانت تُعاملني هكذا

أَخَذَت الراحة تتسربُ إلى جسدي شيئاً فشئ ! فإرتَخت أعصابي رويداً رويداً

وأخذنا الحديثُ أنا وخالتي وآدم وإستغربتُ مِن نفسي والإسهَابُ في الحديثِ

أحاديثٌ ليسَ لها علاقة بالعلمِ أو الحبِ أو التوترِ ، أحاديثٌ عفويَّة تنقلكَ رُغماً عنكَ إلي الماضي

هي أشياءٌ نعرفُها ولكِنْ ذِكراها مع مَن تُحب يكُنْ لكَ فيها مذاقٌ آخر

تجعلُ المقلُ تُدمِعُ فرحاً وإشتياقاً لماضٍ سعيد

في خضم الذكريات تذكَّرتُ كلمات أُمي وأنا أقفُ أمام باب المنزل " : ستجدُ أمكَ الثانية هُنا .. أُدخل إلي المنزل"

وجفت الإبتسامة على شفتاي وقد لاحظت خالتي ذلك وهتفت الخالة " : ما بك يا بُنيّ "

عُمر : حلمتُ البارحة بأُمي وكانت تُشيرُ إلي منزلكِ وتقولُ لي أنني سأجدها ثانية

ونظرَ - عُمر - إلى خالتهُ وإبتسمَ وفي عينيهِ دمعة وبكل ما أعطي من قوة جعلها في مقلتيهِ

-خالتي نور - وقد إبتسمت وبكت دموع خفيفة وعزيزة ، قالت " : أنتَ يا بُنيَّ طفلي الذي لمْ أُنجبهُ وفتاي الذي أفتخرُ بهِ دوماً ، سأقولُ لك شيئاً أودُ أن تسمعني

للخالةِ في الإسلامِ منزلةً كريمة ، النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) جعلَ الخالة بمنزلةِ الأُمِّ والبر بها حق

وحقها في رعايتها وصلة الرحِم بها والإحسان إليها ، صلة الرحم يا بُنَّي جيَّدة للإنسانِ بها تُزكِّي الأعمال وتُنمِّي المال وتدفع البلوي وتُزيدُ العمر

قالَ صلي الله عليهِ وسلم " : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، أَفْشُواْ السَّلاَمَ ، وَأَطْعِمُواْ الطَّعَامَ ، وَصِلُواْ الأَرْحَامَ ، وَصَلُّواْ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ ، تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِسَلاَمٍ"

وما أجمل السلام أنْ تعيش بهِ وتطمئن وأنْ تكونَ نهايتك جنة الله

حياة المؤمنِ يا بُنيَّ جميلةٌ كلها أملٌ وتفائلٌ بلقاءِ الله تعالي في الآخرةِ والعيشُ بإطمئنانٍ في الدُنيا

فمن لا يدخل جنة الدُنيا لا يدخل جنة الآخرة..

لقد سرقنا الوقت يا بُنيَّ هيَّا تفضَّل لنتناول الطعام

فأخدتني من يدي نحو السلام

وعلي مائدة الطعامِ وجدتُ الودَّ والمحبَّة والدفئ والسلام الذي تَحَدَّثتْ عنهُ خالتي

ما أجملُ ذلكَ الصوتُ حينما ضحكنا جميعاً في نفس الوقت

كم تمنيتُ أن تكونَ - سَهر - معنا ، إنَّني أشعرُ بها وأراها بجانبي تتضاحك هي وخالتي

شعرتُ أنَّها تشبهُ خالتي وكلامهما يخرجُ مِن مصباحٍ واحدٍ ، إنَّهُ الإيمان!

الآنَ علمتُ يا - سَهر - لِمَ كُنتِ تُخبرينَني أنَّني عليَّ البحثُ عن نفسي

ودعتُ خالتي وقد أعطتني عُلبةٌ مِن رائحتها علمتُ أنَّها كانت كعكات الجوزِ التي أُحبها

ثُمَّ هَمست في أُذني وقالت " : كانَ لديَّ إحساسٌ قويّ أنكَ ستأتي وها قَد أتيتَ بالفعل ، إلي اللقاءِ يا بُنيَّ رافقتكَ السلامة"

ودَّعتُها بضمةٍ قويةٍ شممتُ بِها رائحة أُمي وغادرتْ..

غادرتُ إلي المنزلِ وشعورٌ غريبٌ يجتاحني ويجعلُ الدنيا نوراً في عيني

شعرتُ بأنَّني أقتربُ مِن شخصيَّة - سَهر - الملائِكيَّة

دخلتُ إلي المنزلِ وفتحتُ علبة الحلوي وأخذتُ أشُمُّها وأبتسمُ وأبتسمُ دونَ هدفْ ، فقط أحببتُ أنْ أنقل شعوري لسَهر

أخذتُ الهاتفَ مُسرعاً وكتبتُ " : سَهر " !

وردَّت - سَهر - بسرعةٍ فائقةٍ " : نعم يا عُمر إنني معك"

عُمر " : أنا اليوم سعيدٌ جداً وأودُّ أنْ أُشاركَكِ سعادتي ، هل هوَ أمرٌ ممكن ؟ "

سَهر " : بالطبعِ مُمكنٌ يا عُمر"

وقد إرتسمت إبتسامة عريضة علي شفتاها

عُمر " : إذاً قِفي الآن أمام المرآةِ وإقتطِفي مِن أزهاركِ زهرة رقيقة بيضاء واجعليها بين ثنايا شعركِ كالقمرِ في ليلةٍ ظلماء وإبتسمي مِن أجلي "

-سَهر - وقد فرحت وتراقصت كالأطفالِ " : نعم سأفعل"

عُمر " : إذاً أنا سعيدٌ الآن .. مع السلامة "

سَهر " : مع السلامة يا عُمر"

أسرعتْ - سَهر - وفتحتْ النافذة وأسدلتْ الستائرَ وإقتطفتْ زهرةً بيضاءً مِن مزهريتها الزُجاجيَّة المُرصعة بالفضةِ

الشئ الوحيد الذي إحتفظتْ بهِ مِن بيتِ جدَّتها بعد وفاتها ، كانت أحبُ التحفِ إلي جدتها

إني أحيا من جديد

أخذتْ - سَهر - تربت علي المزهريَّةِ كأنَّ جدتها هُنا وتشعرُ بها

لطالما أحببنا أشياءَ الغائبين ليس حُباً بها ولكِنْ لنشعر بأرواحهم وأذواقهم التي تركتنا دون عودة!

إبتسمتْ - سَهر - وتركتها وذهبتْ لتقف أمام المرآة وأخذتْ تتخايلُ بجمالها الهادئ الرقيق

وحلَّتْ خُصلات شعرها مِن المحبسِ ذو اللون الأرجوانيَّ

وقد أخذتْ تنظرُ إلي لمعةِ عينيها الدافئتين

ووضعتْ الزهرة بين ثنايا شعرها وإستسلمتْ للفرحِ وللهواءِ الداخلِ إلي الغرفة مُغازلاً الستائر بكُل حبٍ وعفويَّة

وأخذتْ تنشدُ جميلَ الكلامِ وأرقَّه والسرورُ يغمرها ويُذكِّرها بِ - عُمر - بسعادتهِ وأسبابها وثقتها برجوعه إلي الله وإلي الطريقِ الصحيح

وأخذتْ تتسائلُ هل أُراسِلَهُ أم لا ! وددتُ أنْ أري السعادة في مُقلتيه

أودُ أنْ أتحدَثُ معهُ ! ثُمَّ تحدَّثَ إليها صوتاً في داخلها قائلاً لا لنْ أبعثَ أيَّ شئ

كانَ قراري مِن البدايةِ ويجبُ أنْ أحترمَه ، سأُحكِمُ العقل دائماً علي إجتياحِ العاطفة

إستسلمتْ أخيراً لقرارِها وأطفئت الأنوارِ وجلبتْ فنجاناً مِن الشاي

جلستْ تحتَ النافذةِ تتلاعبُ بخصلِ شعرها وتعيدُ كلمات - عُمر-

تسرَّبَ ضوءٌ خفيف مِن النافذةِ جعلها تشعرُ بجمالِ الحياةِ في ظلِ مرضاةِ الله

جعلها تشعُرُ بالراحةِ والطمأنيةِ التي وعدَ اللهُ بها عبادهُ الصالحين

ثُمَّ قالت " : اللهُ حقّ"

وبنظرةٍ إلس اللاشئ أردفت " : والسعادةُ في قربهِ حق "

في ذلكَ المنزل الذي شغلَ صاحبهُ بال - سَهر - كانَ - عُمر - يقفُ خلفَ النافذةِ أيضاً وقد شغلهُ التفكيرَ بشكلٍ جديّ في صراعهِ وحلُّ هذهِ المشكلة كي يستكين

السببُ الوحيد الذي جعلني أبتعدُ عن لفظ مُسلم هو الإرهاب ، هذهِ هي الحقيقة

الإرهابُ جعلني أخجل مِن كوني مُسلم أمام أصدقائي بالخارج

لمْ يكُن لي رداً مُقنعاً أمامَ القتل والتعذيب والتفجير دون هدفٍ معروف

شاشة التلفازِ شهدت خوفي وقلقي أمامها وأمامهم ، لمْ يكُن لي رداً مُقنعاً

لقد سافرتُ وأنا شابٌ صغير أُتمّ الثانويَّة العامة وذهبتُ إلي هناكَ بحثاً عن مُستقبلي وطموحي الذي كانتُ أحلم بهِ دوماً

لمْ تكُن عندي ثقافة إسلاميَّة ولا عقيدة عميقة في أمورِ الدين ، كنتُ أختار الهروب وعدم المواجة في هذهِ الأمور..

أُمي وأبي رحمهما الله لمْ يكونا إرهابيين وخالتي نور وآدم أيضاً لم يكونا إرهابيين ، حتي - سَهر -ذلكَ الملاكُ الرقيق لنْ تكون كذلك!

بل هُم ليسواْ هكذا ، هُم بالدينِ تسمواْ أخلاقهم ويرتقواْ .. هُناكَ شيئاً خاطئ يجبُ أنْ أكتَشفه

وأخذَ يمشي بالغرفةِ يُفكرُ بالحلِ ويتحدثُ إلي نفسه

لا لنْ أبقي بهذا الصراع يجبُ أنْ أجد الحل وإنْ لمْ أجدَهُ سأغادرُ الوطن ، سأُغادرُ وطني..

في الصباحِ الباكرِ كانتْ خطوات - عُمر - واثقة ، كيف لا وقد كانت مُتجهةً لهدفٍ مُعينٍ وواضحٍ لا يُحاكي العشوائيَّة

لقد سهرَ وخطَّطَ وكانَ الحلُ هو البحث ، البحثُ المستند علي حقائقٍ وليسَ فقط الإستماع للمعرفةِ .. أنْ تلمسَ الحقائق وتراها بأُم عينيك

مهنتهُ كصحفي تُعطيه كُل الحقِ أنْ يزورَ الأماكن الحساسة ويسألُ بها كما المُحَقِق

وكانَ أول مكانٍ ذهبَ إليه - عُمر - ليعرف الحقائق هي السجون ، لمن ثبتَ أنَّهُ قامَ بعملٍ إرهابي دونَ شك

أرادَ مِن هذهِ الزيارة معرفة طريقة تفكير الإرهابيين لا أكثر وهل هي مُستندة علي أحكامِ الدينِ أم عن الجهل والتعصب

ومن هُنا ستبدأ قاعدة البحث..

وفي غضونِ ساعاتٍ قليلةٍ حصلَ - عُمر - علي التصريحِ

في قصصِ النجاحِ دوماً يجبُ أنْ تعملَ وحدكَ أو أنْ تجدَ رفيقاً لروحكَ يُشابهكَ بالفِكر والتجردِ مِن الجهلِ الهدَّامِ

الذي لا يفعل شيئاً سوي إعادتنا للخلفِ وأنا لا أثقُ بأحدٍ سوى - سَهر-

هي الوحيده التي أحترمها وأحترم طريقة تفكيرها ، كيف لا وعندما تُحاورني تُغادرني الكلمات إحتراماً لفكرها الراقي الصريح

سأُخبرها بالتفاصيلِ لاحقاً..

في زنزانةٍ كبيرةٍ كما المجهولِ كانَ - عُمر - هناكْ

ساحةٌ كبيرةٌ وأشجارٌ تُعاني الوحدة والبؤس ونوافذٌ متقاربةٌ لها حماية صلبة مصنوعة مِن الحديدِ تُخبركَ عن جمال الحريَّةِ وكم أنتَ محظوظٌ لإمتلاكِها

نصفُ ساعةٍ وقد دخل - عُمر - إلي غرفةِ المأمورِ وبعد أنْ أجابَ عن أسئلةٍ روتينيَّةٍ إعتاد عليها - عُمر - بالإضافةِ الي التحققِ مِن التصريح

سألهُ المأمور عن الهدف مِن وجودهُ ولكِنْ أخبرهُ كي يجيبهُ بشكلٍ مُباشر

عُمر " : أودُ كتابة مقالٍ عن الإرهاب بشكلٍ مُفصل كي نساعدُ في الحدِّ منهُ في وطننا"

المأمور وقد أظهر بعض التشجيع لعُمر قال " : إذاً لنْ أجعلكَ تنتظر ، ستختارُ لك بعضاً مِن المساجينِ كي تتحدث معهُم في ظل حراسة بعض أفراد الأمن "

بعد ساعة كاملة كُنتُ أنتظرُ بها وارتبُ أفكاري

إتجهنا عبرَ السلالم للأسفل ودخلنا غرفةً مُظلمةً بعضَ الشئ وكان بابها حديدي يحرسها إثنان من أفراد الأمن ويوجد بداخلها طاولة وكرسيين

يجلسُ علي كرسي مِن الكرسيين أحدَ أفراد الجماعاتِ المعروفة والمسؤولة عن الإرهابِ بشكلٍ رسمي ومعروف

نظراتهُ كانتْ مصوبةٌ نحوي بتحدٍ مدروسٍ ومُتقن

جعلتني أُفكرُ ملياً حتى أسألهُ سؤالاً يستفزهُ ويجعلهُ يُجيبُ عليهِ دونَ تهرّب

عُمر " : السلام عليكم"

المسجون " : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته "

عُمر " : عندي بضعة أسئلةٍ وددتُ أنْ أسألها لكَ ، لجهلي في مبادئ الإسلامِ ولنْ أضغطَ عليكَ فإنْ إردتَ أجِب وإن لم تُرِد سأسأل غيرك

ولكِنْ إعلم أنَّهُ مِنَ المُمكِنِ أنْ يُجيبني أحدٌ غيركَ بشكلٍ خاطئ وتتحملُ أنتَ سببَ جهلي برفضِكَ إجابتي "

المسجون وقد زادت نظراتهُ حِدَّةً وتوتراً أخذَ ينظرُ إلي - عُمر - بتفحصٍ وقال " : ماذا تودُ أنْ تعرفَ عن الإسلام ؟ "

أجابَهُ - عُمر - قائلاً : " قُل لي ما هوَ الإسلام .. أعطني صورةً واضحةً عنه "

المسجون وقد جلسَ بإسترخاءٍ وإستهزاءٍ بِ - عُمر - وهو يُمثلُ دورَ المعلمِ قال " : بُنِيَ الإسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ :شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وإِيتَاءِ الزَّكَاةِ.."

عُمر " : جيّد ، هذا هوَ الجانب العملي له .. قُل لي ماذا نعني برسالةِ الإسلام بشكلٍ واضح "

أشارَ المسجونُ بيدهِ نحوَ - عُمر - وقال " : هوَ رسالة الله للبشرِ كافة ومَن يتجاوزُ عنها هو كافر"

-عُمر - وقد خرج عن حدود الذوقِ في التحدثِ رفع صوتهُ الذي خرج مِن أعماقهِ وقال " : وكيفَ تحكمُ علي إنسانٍ بالكُفر " !

المسجون " : نحكمُ عليهِ مِن أفعالهِ ، وما ثبتَ مِن طريقةِ تفكيره"

عُمر " : وهل إطلعتَ علي قلبهِ ؟ "

المسجون " : اللهُ أعلم "

عُمر " : وكيفَ تكفرهُ والله هو الوحيد المتطلع علي قلوبِ البشرِ .. الله أعطي الخيار للناسِ في الإيمان "

إعتدلَ المسجونُ في جلستهِ " : نحنُ نتصرفُ حسب الأوامر التي تُرسلُ إلينا ولا نتدخلُ في هذهِ الأمور "

عُمر " : ولِمَ لا تُحكَّم عقلكَ في قتلِ أبرياءٍ آمنين حرَّمَ اللهُ قتلهم .. أودُ أنْ تُعطيني صورةً واحدةً في القرآنِ تُجيزُ ما تفعلوه"

المسجونُ وقد أصبحت العصبيَّة لسان حاله " : لا أحفظُ مِن القرآنِ سوي بعض السورِ القصيرةِ حتي أُتمُّ الصلاة بها "

عُمر " : لا تحفظ سور القرآنِ وتُطبق أحكامكَ علي البشرِ هكذا دون يقين ! وتقولُ أُمثلُ الإسلام هكذا ببساطة ؟"

المسجونُ وقد إرتفعَ صوتهُ " : قلتُ لكَ أنا أثقُ بمنْ يوجِّهونني "

بإستنكارٍ قالَ - عُمر " : - بمن يوجِهوك ! ولِمَ لمْ تُحتكم بدستورِ الإسلامِ وذهبتَ لأشخاصٍ مثلكَ تماماً لتعرف مِنهم "

المسجون " : لا توجد إجابة "

عُمر : ولنْ تكونَ لديكَ إجابة ولكنْ لديَّ سؤال أخير وأودُ أنْ تُجيبني عليهِ بكُل وضوح ، قبل أنْ تنتمي لهذا التيار أينَ كُنتَ أنتَ مِن الدين ؟ "

شعرَ المسجونُ بالخجلِ وتعرَّقَ وقال " : كنتُ بعيداً عن الدين حتي أنَّني لمْ أُصلي قط"

وتلعثمَ بالكلماتِ وأردفَ " : لمْ يكُن لديَّ عملٌ فأنا لمْ أدرس ولمْ تكُن لديَّ مهنة تدرَّبتُ عليها ، ولكِن شيخي الجليل ضمني إلي جماعته وتلقيتُ أصول الدينِ وأصبحَ لي راتبٌ مُحترم"

نظرَ - عُمر - إليهِ مُطولاً وقالَ " : الجهل يحرقُ الأمم"

وتركهُ بعصبيةٍ شديدةٍ وخرجَ مِن غُرفةِ التحقيقِ ومِن السجنِ كافة وهو غارقٌ في الصمتِ والعصبيةِ

ولمْ يعرف أينَ يتوجهُ حتى قادته قدماهُ أمامَ المشفي لعاصمتهُ - سَهر-

فهي الشخص الوحيد الذي سيزيلُ هذهِ الكآبة التي أحلَّت بهِ مِن الجهل والرجعيَّة التي أصابتهُ بالإحباط

دخلَ - عُمر - إلى المشفي وأخذت عيناهُ تبحثُ في المكانِ

سألَ عن - سَهر - وأخذَ ينتظرُ في قاعةِ الإستقبالِ

وقد لفتَ نظرهُ سيّدةً كبيرةً في السنِ ترفضُ أنْ تعودَ مع إبنها إلي البيتِ وتقول " : لا أرغبُ أنْ أراكَ إذهب مِن هُنا أرجوك"

وهوَ يُصرُّ علي مرافقتها لهُ ويقول " : أرجوكِ يا أُمي إرجعي معي "

قالت السيدة الكبيرة " : لنْ أرجعَ معكَ لقد وجدتُ إبنة لي لَمْ ألدُها والفارقُ بينكم وبينها أنَّ قلبها ما زالَ علي قيدِ الحياةِ"

صَمتت قليلاً وأردَفت " : إذهب يا بُنيَّ وقُل لزوجتكَ كما تدينُ تدان ، وأعلم يا بُنيَّ أنَّ برَ الوالدينِ سطورٌ أنتَ مَن تكتبها ويرويها أطفالكَ لكَ في المُستقبلِ وأيقن أيضاً أنَّكَ لَمْ تُحسن كتابتها"

إرتَفعَ صوتُ الإبنِ مِن وقْعِ تلكَ الكلمات وأشارَ بيدهِ إلي أمِّهِ وقالَ " في الزيارةِ القادمةِ سآخُذكِ رُغماً عنكِ ، لقد بدأ الناس في الحديثِ علينا "

أخذت السيّدةُ في البكاءِ وهي تتوسلُ اللهَ أنْ يُريحها مِن هذا الإبن العاص

وكانَ - عُمر - يُشاهدُ بألمٍ عليها وحقدٍ علي هذا الوحشِ المُقنَّعِ بمظهرِ إنسان"

وصلت - سَهر - إلي قاعةِ الإستقبالِ وقد وجدت الجدَّةُ - عائشة - في حالٍ يُرثي لها

فأسرعت نحوها وضمَّتها لصدرها بكُل حنيةٍ كأُمٍ تضمُ طفلها

وأخذت تسألها ما بالها والجدَّةُ غارقةٌ بدموعها ، وعُمر يراقب - سَهر - بكلِ إحترامٍ وإجلالٍ

لمْ يرَ هذا الجانب الإنساني من قبلِ - سَهر - تفاجئ بها وبلهفتها وتصرفاتها العفويّة الغير مدروسة

فلمْ يتخيَّل أنَّ - سَهر - تتحلى بهذهِ المشاعر المؤثرة جداً

هدأت الجدَّةُ بعضَ الشئ وأخذت - سَهر - تُلاعبُها كما الأطفالِ وتجعلُها تضحكُ بعضَ الشئ

وعُمر يضحكُ من بعدٍ معهم وينظرُ إلي - سَهر - مِن جانبٍ آخر .. جانب الإنسانيَّة

قالت - سَهر - للجدَّةِ عائشه " : بضعُ لحظاتٍ وأعودُ إليكِ"

ونظرت إلي - عُمر - وتبسَّمَت

فبادلتها الجدَّةُ نفس النظرةِ وقالت " : نعم إذهبي يا بُنيَّتي"

وأومأت برأسِها إلي - عُمر " لتحيّهِ ونظرةُ الإنكسارِ بعينيها لِمَ فعلهُ إبنها أمامه

فابتسم - عُمر - لها بكلِ محبةٍ وتهذيب

سَهر " : أهلاً بكَ يا عُمر تفضَّل "

جلسَ عُمر وقال " : أهلاً سَهر مَن هذهِ السيّدة الكبيرة بالسن ؟ "

أخذت - سَهر - نفساً عميقاً وقالت بكلماتٍ تدعواْ إلي التفاؤلِ رُغماً عن الموقفِ الحزين " : إنَّها جدتي التي فقدتُها لقد عوضني الله بها ، إنَّها كنزيَ الثَمين"

إندهشَ - عُمر - مِن كلماتها وقال " : حفظها الله لكِ "

عندما سَمِعَت - سَهر - هذا الدُعاءَ فتحت عينيها ونظرت إلي - عُمر - وقالت " : جميلٌ هذا الدعاء "

أخذَ - عُمر - ينظرُ إلي الممرِ " : الأجملَ منهُ أنَّني أودُ أنْ أحيا من جديد "

سَهر " : ماذا تقصدُ يا عُمر ؟"

ردَّ عليها - عُمر - وقال " : الآن لا أُريدُ أيَّ أسئلةٍ ، فقط أُريدُ مساعدتكِ لي ، أُريدُ منكِ أنْ تخافي عليَّ وتُشعِريني بهذا الإحساس كما الجدَّةُ - عائشة" -

ووضع يدهُ علي الطاولةِ وركِزَ بجانبِ رأسهِ عليها وأطالَ النظرَ إلي - سَهر - وقالَ :هل هوَ أمرٌ مُمكِن ؟"

رَجِعَت - سَهر - للخلفِ لتُلامِسَ الكرسي وتشعُرُ لوهلةٍ بالثقةِ بنفسها

بادلتهُ نظرةً خجولةً وإنخفضت سريعاً وقالت " : هوَ أمرٌ ممكنٌ وأنا سعيدةٌ بِه "

عُمر " : وأُريدُ أنْ تكوني بجاني دوماً ، هذا كُل ما في الأمر "

سَهر " : وأنا سأكونُ بجانبك " وقد شبَّكَتْ علي يديها بقوةٍ وقد لاحظَ هذا - عُمر -

نظرَ - عُمر -إلي الجدَّةِ - عائشة - التي كانت غاضبةً قبل قليلٍ وهي تُراقِبهُم بكلِ حُبْ

ثُمَّ قال " : لقد أحببتُ جدتكِ الجديدة جداً وفي أقربِ فرصةٍ أودُّ أنْ أُعرِّفكِ بخالتي"

وبدهشةٍ ردَّت سَهر " : خالتكَ التي حدَّثتني عنها ؟ هل ذهبتَ لزيارتها ؟ متي وكيف ؟ "

عُمر " : عندما قلتُ لكِ أودُّ أنْ أُشاركِ فرحتي وتردُدُكِ في أنْ تبعثي شيئاً أم لا ؟

إزدادَ خَجلُ - سَهر - ورفعت أنفَها لتَشُمَّ هواءً بارداً كي تستفيقَ وتُرتبَ كلماتُها ، ثُمَّ قالت " : كيفَ كانت زيارتك ؟"

إنتبَهَ - عُمر - لخجلِ - سَهر - فوافقَ علي تغييرِ الموضوعِ دونَ أنْ يُشعرها بهذا

وقالَ " : كانت الزيارةُ مُمتازةً ولكنَّكِ كُنتِ أيضاً هُناكَ لمْ تبتعدي لحظةً عني فكنتِ مِثلَ الخيالِ الأبيضِ يُرافقني ويدعمُني في كلِ لحظةٍ"

وضعت - سَهر - يدها علي رأسِها وقالت " : إذاً هوَ أمرٌ جيّد "

فانفَجرت ضحكاتُ - عُمر - في المكانِ وَودَّعت كُل شيءٍ أزعجهُ في الصباحِ وقالَ : "إذاً الي اللقاءِ الآن سأترُكُكِ مع إستجوابَ جدَّتكِ "

سَهر " : إلي اللقاءِ وإنتبهْ إلي نفسكَ جيّداً "

عُمر " : سأنتبهُ إلي نفسي جيّداً لأنَّها ملكاً للكِ "

ودَّعها - عُمر - وذهبَ إلي حياتهِ الجديدة التي لامَسَ بِها قَبسٌ مِن الصفاءِ والراحةِ والطمأنينةِ في قلبهِ

واتجهَ لها دونَ أيَّ شكٍ ، كيفَ لا وهوَ يُلاحقُ اليقين"

جلستْ - سَهر - تبتسمُ مع نفسها ونسيت كُل شيءٍ حولها واستفاقت علي صوتِ الجدَّةِ -عائشة - تقولُ لها " : مَن هذا الشابُ الوسيمُ ؟ هيَّا أريدُ أنْ أعرف "

قالت - سَهر -للممرضةِ التي ساعدت الجدَّةَ - عائشَة - في دفعِ العربةِ " : شُكراً أنَّها معي الآن"

فأمسكت - سَهر - يد الجدَّةِ - عائشة - بكلِ قوةٍ وضغطت عليها وقالت " : هوَ نصفي الآخر الذي اقتحمَ حياتي دونَ سابقِ إنذار"

إبتسمت الجدَّةُ - عائشة - وقالت " : إني سعيدةٌ جدَّاً لأجلكِ يا بُنيَّتي فقد كُنتما مثلَ الزهورِ البراقةِ وأنا أُراقبكُما مِن بعيدٍ ، ولكِن هل ستتركيني يا بُنيَّتي ؟"

وأخذت دمعاتُها تنزلُ بكلِ عفويةٍ جعلت - سَهر - تنهمِرُ في البُكاءِ وتُقبّلُ يديها وتقول " : لنْ أترُككِ يا جدَّتي أعِدُكِ بذلك ، فأنتِ هديةٌ وهبني اللهُ إياها فلِمَ تقولينَ ذلك"

مسحت الجدَّةُ - عائشة - دموعها وقالت " : لنْ نحزنَ بعد الآنَ يا بُنيَّتي ، أريدُ أنْ أُعِدَّ لي ولكِ كوباً مِن الشاي فما رأيكِ ؟ "

مسحت - سَهر - دموعها وقالت " : نعم يا جدَّتي فأنا أُريدُ كوباً مِن الشاي مِن يديكِ الطاهرتين ، فما رأيكِ أنْ نُعدَّهُ ؟"

أمسك الجدَّةُ - عائشة - يدَ - سَهر - وقالت لها " : أشكُركِ يا بُنيَّتي"

أخذت - سَهر - يدَ الجدَّةِ وقبَّلتها بمحبةٍ ورأفةٍ فهذهِ هي فحوي رسالةُ الإسلامِ

وصلَ - عُمر - إلي البيتِ وجلسَ علي الأريكةِ التي لطالما كان يُحادثُ - سهر - وهوَ يجلسُ عليها

وأخذَ يفكرُ في تفاصيلِ يومهِ فلقد أرهقهُ ذلكَ المسجونِ

فلمْ أكُنْ كُفئاً لقد أتعبتني هذهِ النقطةُ ، لكِنني كُنتُ أبحثُ عن شيءٍ فوجدتهُ وتأكدتُ منه

الدينُ واضحٌ ونحنُ نبحثُ دوماً عن شيءٍ يُشتِتُنا

إبتسمَ -عُمر - حينما تذكَّرَ الجدَّةَ - عائشة - و - سَهر - فهذا هوَ الشعورُ النبيلُ الذي يجمعهما

ثُمَّ أغمضَ عينيهِ وقد تطرَّقَ إلي سمعهِ صوتُ الآذانِ .. آذانُ المغربِ وقد سمِعَ كُلَ لفظٍ مِن الآذانِ كأنَّهُ يسمعهُ لأولِ مرةٍ

وحينما إنتهي الآذانُ ذهبَ ليتوضأ بدونِ تفكيرٍ أو أسبابٍ أو ملاحظاتٍ

فقط ذهبَ ليُلبّي النداءْ

وهو يتوضأ تذكَّرَ نفسهُ وهوَ صغيرٍ وأُمهُ تقفُ بجانبهِ تُعلَّمهُ كيفيَّة الوضوءِ الصحيحِ

فنفَّذَ كُلَ الخطواتِ واتجهَ إلي غرفتهِ وشعرَ بنورِ وجههِ وهوَ يمشي كهالةٍ بيضاءَ هي نفسها التي كانت تُحيطُ بوجهِ - سَهر-

فنظرَ - عُمر - فلمْ يجدَ سجادةَ الصلاةِ فبحثَ عن شيءٍ طاهرٍ كي يُصلي عليهِ

فوجدَ حجاباً لأُمهِ كانَ محتَفِظاً بهِ فوضعهُ علي الأرضِ وأقامَ الصلاةَ

وحينما دخلَ في الصلاةِ بدأ الخشوعُ ينسابُ مِن قلبِ - عُمر - وجعلهُ يبكي كالأطفالِ ويُكلِّمُ الله

بل شعرَ بكلِ خليةٍ في جسدهِ خاشعةً للهِ تُصلي وتستقيمُ للطريقِ الصحيح

وحينما إنتهي مِن صلاتهِ وضعَ جسدهُ علي موضعِ نومهِ فاستغرقَ في النومِ حتي الصباح

وحينما إستيقظَ في الصباحِ إغتسلَ - عُمر - كأنَّهُ لمْ يغتسلْ مِن قبل

إغتسلَ مِن أفكارهِ وشكوكهِ ومِن كلِ شيءٍ جعلهُ يشُكُّ لوهلةٍ في الدينِ العظيمِ

توضأ وجهَّزَ نفسهُ لصلاةِ الفجرِ ثُمَّ ذهبَ إلي ذلك المسجدِ الذي رآهُ حينما وصلَ إلي الوطنِ فأدهشهُ منظرهُ والتقطَ لهُ صورةً كأنَّهُ يتلألأُ كالجوهرةٍ وسطَ الظلامِ الدامس

تسائلَ في نفسهِ كيفَ لمْ أهتدي في ذلك الوقتِ فالمنظرُ وحدهُ يُشعركَ بالراحةِ والطمأنينَة

المنظرُ وحدهُ يجعلُكَ تقولُ أشهدُ أنَّ لا إلهَ إلا الله وأنَّ مُحمداً رسولُ الله

لقد أنطقَ اللهُ لسانهُ بِها فشعرَ بحلاوةِ الايمان باللهِ

وأصبحَ يُناجي ربَّهُ ويقولُ يا اللهُ في كلِ خطوةٍ يتجهُ بها إلي المسجدِ فدخلَ إلى صدرهِ هواءٌ باردٌ أنعشهُ وأنعشَ جسدَهُ بالكامل

وشعر بخفةٍ في مشيتهِ لمْ يلحظها مِن قبل

شعرَ بسلامٍ داخليّ كانَ يبحثُ عنهُ منذُ مُدةٍ حتي كادَ أنْ يفقدَ عقلهُ

وأخيراً وجدَ السلامَ فاحتمي بهِ دِرعاً مِن همومِ الدنيا وأشغالها وكآبتها ،والألمَ الذي كانَ يُمزقهُ في كلِ فترة

دخلَ المسجدَ والكلُ يبتسمُ لهُ في ودٍ وصفاءٍ لمْ يراهما مِن أحدٍ غريبٍ إلا وكانتْ مِن ورائهِ مطلبٌ أو مصلحة

فأخذَ يبتسمُ هوَ الآخرُ وشعرَ بالسلامِ يتسلَّلُ إلي جسدهِ كشروقِ الشمسِ وانبعاثِ أشعتها لتُحيي الأرضَ بعدَ سُباتُ الظلامِ بِها..

وقفَ بالصفِ وحينَما إكتملَ الصفُ شعُرَ بالإنتماءِ والمحبةِ والألفة

شعرَ بأنَّ كُلَ البشرِ سواسيةٌ أمامَ اللهِ الواحدِ الأحد فهنا لا فرقَ بيننا سوي التقوي

وحينما إنتهي مِن صلاتهِ وتبادلَ السلامَ معَ المصلينَ بكلِ تواضعٍ وقالَ مع كلِ سلامٍ أنا أنتمي لهذا الدينِ العظيم

لقد وجدتُ وطني ووجدتُ السعادةَ فقد كانتْ - سَهر - محقةٌ في قولها بأنَّ السعادةَ كُلُ السعادةِ في محبةِ الله...

خرجَ - عُمر - مِن المسجدِ وأرسلَ رسالةً إلي - سَهر-

يقولُ فيها " : صباحُ الخيرِ يا سَهر"

فردَّت سَهر " : أهلاً عُمر صباحُ الخيرِ ، هل هُناكَ خطبٌ ما " !

عُمر " : لا تقلقي توقعتُ أنَّكِ تُصلينَ الفجرَ الآنَ فبعثتُ هذه الرسالة "

سَهر " : لقد تفاجئتُ بها ووضعتُ المصحفَ جانباً فكنتُ سوفَ أقرأُ فيهِ ، هل صليتَ الفجرَ يا عُمر ؟ "

فتلألأ وجهُ - عُمر -كالبدرِ المنيرِ في السماءِ وقال " : نعم يا سَهر لكِنْ ليسَ هُناكَ أسئلةٌ الآن "

سَهر " : حاضر يا عُمر ، إذاً ماذا هُناك ؟ "

عُمر " : أودُّ أنْ أفعلَ أيَّ شيءٍ يُشعِرُني بلذةِ الإيمان "

سَهر " : إنها الصدقةُ يا عُمر "

عُمر " : ولِمَ الصدقةُ بالذاتِ "

سَهر " : الصدقةُ دواءٌ يا - عُمر - لقسوةِ القلبِ فقد قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِنْ أَرَدْتَ تَلْيِينَ قَلْبِكَ فَأَطْعِمْ الْمِسْكِينَ وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمْ" (

وأردفت قائلةً " : الصدقةُ يا - عُمر - قد تفتحُ رِزقاً كانَ مُعلقاً أو تشفي مريضاً أو تُزيحُ همَّاً أو تكشفُ غمَّاً أو تغفرُ ذنباً

فقط تصدَّقْ وستجدُ حلاوةَ الإيمانِ فإذا أردتَ أنْ تتصدقَ فعُد إلي إمامِ المسجدِ كي يُساعدكَ في هذا الأمر "

عُمر " : شئٌ جميلٌ جداً يا - سَهر - الآنَ عودي إلي لنومِ واعتني بنفسكِ جيداً ، لكنْ هُناكَ أخيرٌ يا - سَهر " -

سَهر " : تفضَّل يا - عُمر - قُل ما شِئت "

عُمر " : هلْ تستطيعي أنْ تجدي لي سجادةَ صلاةٍ ومصحف"

سَهر " : اليومُ سأجهزهُما لكَ كي تأخُذهُما منِّي فأنا سعيدةٌ جداً مِن أجلك "

عُمر " : وأنا أيضاً سعيدٌ جداً "

عادَ - عُمر - إلي إمامِ المسجدِ وألقي عليهِ السلام

فردَّ عليهِ الإمامُ قائلاً " : وعليكَ السلامُ ورحمةُ اللهِ وبركاته ، تفضَّلَ يا بُنيَّ هل تبحثُ عن شئ ؟"

عُمر " : نعم وددتُ أنْ تُساعدني كي أتصدق"

قالها - عُمر - بتوترٍ كأنَّهُ سيقومُ بأمرٍ صعبُ الوصولِ إليهِ..

الإمام " : ولِمَ أنتَ متوترٌ هكذا ؟ "

حينما سَمِعَ - عُمر - سؤالَ الشيخِ أخذَ بالتأمُلِ والتَفكُّرِ

فجعلَ الشيخَ يقطعُ عليهِ صمتهُ ويقولُ " : الإبتسامةُ يا بُنيَّ هي المفتاحُ الذي يفتحُ لكَ قلوبَ الآخرينَ لتدخلَ إليهم"

فأمسكَ يدَ - عُمر - فمَشَيا جنباً إلي جنبٍ في المسجدِ حتي وصلا إلي مكانٍ خالٍ مِن البشرِ

فأكملَ الشيخُ حديثَهُ وقال " : إجعلها طابعاً لكَ فالصدقةُ هي التي تُدخِلكَ الجنَّةَ فلا تجعلَ الإبتسامةَ تغيبُ عن وجهكَ مهما كانت الظروف ، فالإبتسامةُ يا بُنيَّ صدقةٌ عِشْ بها في أيامِك"

ثُمَّ نظرَ الشيخُ إلي - عُمر - وقد أصبحَ وجهُهُ نيّراً كالبَدرِ في الإشراقِ عِندَ كمالهِ

وقالَ الشيخُ " : وأنا أخذتُكَ هُنا يا بُنيَّ لتعلمَ أنَّ الصدقةَ يجبُ أن تكونَ سِريَّةً ولا تُجاهرْ بِها

فقد وردَ في الحديثِ الصحيحِ المأثورُ عنْ النبيَّ) صلي الله عليهِ وسلَّم (

الذي يحكي عن السبعةِ الذين يُظلُّهم اللهُ في ظلهِ يومَ لا ظلَّ إلا ظِلهُ

ومن بينهم رجلٌ تصدَّقَ بصدقةٍ أخفاها حتي لا تعلم شمالهُ ما أنفَقت يمينُه

فليسَ العِبرةُ يا بُنيَّ بكونِ الصدقةِ قليلةٍ أم كثيرةٍ لكِنَّ الهدفَ مِنَ التَصدُّقِ أنْ نعتادَ علي الخيرِ والعطاءِ ونشعرُ بالآخرين ونعطفُ عليهم

فهذه الأفعالُ تجعلُ مِنكَ إنساناً حنوناً ودوداً يفتقدُكَ الآخرون في غيابك "

فتأثرَ - عُمر - بما قالهُ الشيخُ مِن كلماتٍ ونصائحٍ حتى أصبحَ جسدهُ خالٍ مِن ضغوطِ الحياةِ

فأصبحَ كما الريحُ خفيفٌ لطيفٌ لا يفكرُ في شيءٍ سِوي السلامِ ومساعدةِ الآخرين

وقالَ " : أودُّ أنْ أشتري الصدقاتِ بيدي وأوصلُها لأصحابِها"

ثُمَّ وضعَ يديهُ علي صدرهِ كي يؤكدَ صِدقَ مشاعرهِ

وأردفَ قائلاً " : أودُّ أنْ أشعُرَ بهذا الإحساسِ النبيلِ ولكِن هل ستلقي القبول " !

فأخبرهُ الشيخُ قائلاً " : مِن كرمِ اللهِ تعالي علي الإنسانِ أنَّهُ يُعطيهُ المالَ ثُمَّ يُلهمهُ أن يتصدَّقَ ثُمَّ يُسخرُ لهُ فقيراً يأخذُ الصدقةَ ويقبلُها منهُ

ثُمَّ يُبارِكُ لهُ في رزقهِ بسببِ الصدقةِ التي أعطاها للفقرِ

وسترى يا بُنيَّ فرحةَ هذهِ العائلاتِ بالصدقة."

فانهمرَ - عُمر - بالبُكاءِ قائلاً " : هيَّا بنا يا شيخنا لنْ نُأخرَ الصدقةَ عن أصحابِها"

ابتسمَ الشيخُ وقالَ " : هيَّا بنا يا بُنيَّ "

في المَشْفَي كانتْ - سهَر - تقِفُ بجوارِ النافذةِ وتَسقِي الزهُورَ وتُتمتِمُ عباراتِ الجمالِ وتُفَكِرُ بالتطوراتِ الأخيرةِ التي دخلتْ حياةَ - عُمر - وكانتْ سعيدةً جداً له

ففي أوقاتٍ كثيرةٍ كانت تشعرُ بالأمومةِ نحوهُ مِن خوفِها عليهِ وتُفَكِرُ بصحتهِ ومستقبله

نعم لقد أحبَّتهُ فكُلما فكَّرَتْ بِهِ خفقَ قلبُها بشدةٍ وتورَّدت وجنتاها فأخذت تدعواْ لهُ اللهَ في صلاتها

ثُمَّ نظرتْ إلي سجادةِ الصلاةِ والمُصحفِ وأخذتْ تبتسمُ وتقولُ " : حتي في طلباتهِ هوَ جميل" !

فتناهي إلي سمعِها صوتٌ عالٍ يُهدِّدُ ويتوعَّدُ وبكاء

فقالَتْ " : بكاءُ مَن هذا" !

ذعرتْ وقالتْ " : إنَّهُ بكاءُ الجدَّةُ عائشة"

وأخذتْ تركضُ بالممرِ حتي وجدتْ إبنَ الجدَّةُ - عائشة - يسحبُ الجدَّةُ بشدةٍ وهي تستنجدُ بمنْ حولها

وتقولُ " : اذهبْ ولا تفكر بي ، أرجوكَ دعني أموتُ هُنا بسلام"

وهوَ ثائرٌ يسحبُها دونَ رحمةٍ ولا شفقةٍ لمْ تُفكر - سَهر - سوي بالجدَّةِ ودموعِها وإستنكارِها لهذا الفِعلُ الوحشيّ

وقفتْ أمامهُ وأبعدتهُ عنْ جدَّتِها

فإذ بهِ وبكلِ ما أُتي مِن قوةٍ دفعَ - سَهر - ليرتطمَ رأسُها بالحائطِ وتغيبُ عن الوعي!

فإذا بالجميعِ يصيحُ ويصرخُ مِن هولِ الموقفِ ومِن فظاعةِ ماحدَث

وأخذَت الجَدَّةُ بالبُكاءِ والنَحيبِ بسببِ ماحدثَ معها ومعَ - سَهر-

وحينما رأي الجبانُ الدَّمَ يسيلُ مِن رأسِ - سَهر - إرتَبكَ وفرَّ هارباً مِن المكانِ بسببِ سوءِ تصرفهِ وفِعله..

في الجانِبِ الآخرِ كانَ - عُمر - يجلِسُ علي مَكتبهِ ويُفَكِّرُ فيما يحدُثُ مَعه يُفَكِّرُ كَيفَ سطَعَ النوُرُ في حياتهِ وكيفَ عادَ النبضُ إلي قلبهِ وحياتهِ مُجدَّداً

كانَ يُفَكِّرُ في - سَهر - ذلكَ الملاكُ الذي ظَهرَ في حياتهِ وغيَّرَ كُلَ شئ

فحتي تفكيرهُ قد تغيَّرَ كُلِيَّاً بعد رؤيَتهُ لها

ثُمَّ صوتُ هاتفهُ يقطَعُ حبلَ أفكارهِ برقمٍ لا يعرفه

فأجابَ عُمر " : السلامُ عليكُم"
وبصوتٍ يملأهُ الحُزنُ ردَّت فتاةٌ " : وعليكُم السلامُ ورحمةُ اللهِ وبركاته"

تعجَّبَ - عُمر - مِن الحُزنِ في صوتِ مَن يُهاتفهُ

فقالَ " : مَن أنتِ ؟"

فأجابتهُ المُتصلةُ قائلةً " : أنتَ - عُمر - أليسَ كذلِك ؟"

فقالَ " : نَعم أنا - عُمر - ما الأمر"

رَدَّت بصوتٍ يملأهُ التوتر " : هَل تعرف فتاةً إسمها سَهر ؟"

تَسَرَّبَ الخوفُ والقلقُ إلي - عُمر - حينما سَمِعَ إسم - سَهر-

فأجابها قائلاً " : نَعم أعرفها ، ما الأمر" !

فأخبرتهُ " : لقد تعرَّضَت لحادثٍ وهي بالمَشفي الآن"

صُدِمَ - عُمر - مِمَّا سمعهُ ولَمْ يقدِر علي الحديثِ وهَلَعَ - عُمر - إلي المَشفي بجنونٍ وخوفٍ علي ملاكهِ لا يري شيئاً أمامهُ وكُلَّهُ قلقٌ علي - سَهر-

وحينما دخلَ المشفي واقتَربَ مِن غُرفةِ - سَهر-

فإذا بهِ يسمعُ الطبيبَ يقول " : أسرعواْ إنها فاقدةً للوعي وسنُجري لها بعضَ الفحوصاتِ الطبيَّةِ وصورِ الأشِعَّة "

صُعِقَ - عُمر ولَم يُصَدِقْ أنَّ الطبيبَ يتكلَّمُ عن - سَهر - حتي رآها بعينيهِ علي السريرِ لا تتحرَّكُ ساكِنَة

لم تتحملْ قدماهُ الوقوفَ فجلسَ علي رُكبتيهِ وأبعدَ يداهُ عن السريرِ ووضعهما علي رأسه

وبصوتٍ كُلها حُزنٍ وتزلُّلٍ نظرَ إلي السماءِ قائلاً " : لا لنْ أفقدها ياربُ اجعلها بخير، لا تُجازيني فها ياربُ فهي عائلتي وكُلُ ما أملكُ في هذه الحياة"

وأخذَ يبكي بحُرقةٍ ويمسحُ دموعهُ بيديهِ واقتربَ مِن - سَهر - وأخذَ ينظرُ إليها

وحينما وجدَها تَتَنَفَّسُ بشكلٍ مُنتظمٍ هدأ قليلاً وأحكمَ الغِطاءَ عليها وقال " : لا تترُكيني يا - سَهر - فإنني لا أحتملُ اليُتْمَ مرَّتين"

جلسَ بجانِبِ السريرِ علي الأرضِ وعادَ بظهرهِ إلي الخلفِ مُستنداً عليهِ وأخذَ يبكي كما الأطفال وهو يتذكَّرُ كُل كلمةٍ ونظرةٍ من - سَهر-

لقد توقَّفَ الزمنُ هُنا وغَلبَ الصمتُ علي المكانِ فلمْ يعُد يسمعُ أحداً أو يهتمُ بشيءٍ

لمْ تعُد هُناكَ حياةٌ بالنسبةِ لِ - عُمر فالحياةُ بالنسبةِ لهُ كلمةً مِن شفتيها

فكلمةٌ مِن شفتيّ - سَهر - كفيلةٌ بإعادَةِ الحياةِ لهُ مِن جديد عمر

-سَهر - للفحصِ الطِبّي وإذا بالمُمَرِضَةِ تُجَهِزُ

فأسرَعَ - عُمر - إليها قائلاً " : ماذا تُريدي مِنها ؟ إبتعدي عنها "

وبهدوءٍ ردَّت المُمرِّضة " : أودُّ تجهيزها للفحصِ الطبّي والأشعةِ ، أرجوكَ اخرُج مِن الغرفة"

ردَّ - عُمر - بعصبيَّةٍ وبصوتٍ عالٍ قائلاً " : وإذا لمْ أخرج ماذا ستفعلينَ لي "

تنَهَّدت المُمرضة وقالت " : سوف تتراجعُ المريضَة ويصبحَ هُناكَ مضاعفاتٌ أكبرُ فكُلَّما أسرعنا كانَ الأمرَ في صالحها. "

حاولَ - عُمر - إظهارَ الهدوءِ علي ملامحهِ وقالَ " : لا تقولي هذا سأخرجُ حالاً .. لكِن ترفَّقي بِها فهي كالأطفالِ رقيقةً وحسَّاسة"

ردَّت المُمرضة قائلةً " : الآنَ هي لا تشعرَ بشيءٍ فهي فاقدةً للوعي تماماً"

نظرَ - عُمر - لِ - سَهر - وقالَ " : لا هي تسمعُني وأنا أثِقُ بذلكَ جداً فلا تقولي أنها لا تشعرَ لأنَّها حيَّةً تُرزق ، فقط ترفَّقي بها فأنا أشعر بهذا فإستمعي لي "

تأثَّرت المُمرضةُ بحُبِ - عُمر -لها فوضعت يدها علي كتفهِ وقالت " : لا تَخف سأكونُ بجانبها ولَن تتأذي مِن شيءٍ أعدُكَ بهذا"

نظرَ - عُمر - للمُمرِّضةِ وعيناهُ مليئةً بالدموعِ وقالَ " : نعم كوني معها وسأقفُ خارجاً كي تَنجزي عملكِ"

ثُمَّ أكملَ حديثَهُ بتوسُلٍ " : أوصيكِ بها خيراً ؟

ملأت الدموعُ عينا المُمرضةِ وقالت لهُ مبتسمةً " : حسناً"

سألَ - عُمر - المُمرضة قائلاً " : هل أنتِ مَن هاتفني ؟"

رَدَّت المُمرضةُ " : لا لَمْ أكُنْ أنا بل زميلةُ لي في الإستقبالِ فقد بحثنا في معلوماتِ - سَهر - فوجدنا إسمكَ ورقمك"

ثُمَّ أكملَت بتعجُبٍ " : لَقد وجدناهُما في خانَة الأهل"

صُدِمَ - عُمر - مِن كلماتِ المُمرضة ومِن ثِقَةِ - سَهر - بهِ التي جعلتها تضعُ إسمهُ في خانةِ الأهلِ

وردَّ قائلاً " : نَعم فأنا خطيبها ولكِن لَمْ نُعلِنْ عَن خُطبتنا بَعد"

وهوَ يُفَكِّرُ في - سَهر - خائفاً علي سُمعتها

فنظرَ إلي المُمرضةِ قائلاً " : لكِنْ أودُّ أن أطمئنَ عليها ، قولي لي أنها بخير"

نَظرت المُمرضةُ إلي - سَهر - وقالت " : هي بخيرٍ مادامت في رعايةِ الله عزَّ وجلّ "

وأردَفت قائلةً " : نحنُ أدواتٌ لا أكثرَ وكُلَ الأمرِ لله فتفكَّرَ في قولِ اللهِ تعالي) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ(
وأنا واثقةٌ أنَّ اللهَ لَنْ يخذِلَ حُباً صادقاً نقيَّاً كحُبكَ لها .. فَقط توكَّل علي الله فهو موجودٌ ويسمعُ همساتكَ ودُعائكَ فاستعِن باللهِ وأدعوه

شَعرَ - عُمر - بطيفِ الإطمئنانِ يتسَلَّلُ إلي قلبهِ وقالَ " : صحيحٌ فهي مَا دامت في رعايةِ اللهِ فهي في أمان "

خرجَ - عُمر - مِن الغُرفةِ ليُتيحَ للمُمرضةِ تجهيزُ - سَهر - للإجراءِ الفحوصات

ووقفَ خارجَ الغُرفةِ وهو يُناجي اللهُ ويتفَكرُ بالآيةِ التي ذكرتها المُمرضة

وفي هذهِ الأثناءُ تناهي إلي سمعهِ صوتَ الجَدَّة وهي تقولُ " : إنه بُنيَّ هوَ مَن دفعَ - سَهر - أرجوكم إعتقلوه فهوَ لا يستحقُ الحياةِ إنَّهُ غير آدميّ"

وأخذت الجدَّةُ تَبكي وتقول " : أنا مَن أوصلتهُ لهذا .. أنا مَن أوصلتهُ لهذهِ المرحَة فهو وحيدي ولم أرفُض لهُ طَلبٌ حَتي تمادي وأصبحَ كالوحشِ لا يهتمُ سوي بنفسهِ

كُنتُ أصُبُّ كُلَ إهتمامي بهِ حتي أفسدتهُ فقد كانَ فخري في الحياةِ وقد قصَّرتُ في تربيتهِ فلم أُربيه تربيةً صحيحة أجرمتُ في حقهِ وها أنا أحصدُ شوكَ أفعالي"

وأخذَت تجهشُ بالبُكاءِ فخرجَ رجالُ الأمنِ مِنَ الغُرفةِ للبحثِ عَن ذلكَ المُجرمُ الفاقِدُ للآدَميَّة

إتجهَ - عُمر - إلي الجَدَّةِ وأعطاها منديلاً ورقيَّاً وقالَ لها " : كُلنا نُخطأ فلا يوجَد إنسانٌ بلا أخطاءٌ ودائماً يوجَد هُناكَ فُرصةً أُخري في هذهِ الحياة

وجودُ الله في حياتنا كافي جداً لنكون بخيرٍ ونطمئن .. لا عليكِ"

نظرَت الجدَّةُ إلي - عُمر - بحُزنٍ شديدٍ وقالت " : وما ذنبُ - سَهر - ذلكَ الطيفُ الرقيقُ الجميل ، ما ذنبها أنْ تُعاني في هذهِ الحياة مِن أفعالنا السوداء" !

ثُمَّ نظرت إلي الأرضِ وأكملت " : لا ذنبَ لها سوي طيبتها التي تتحلي بها ، أهكذا يكون جزائها ؟"

فأخذت تتجولُ بنظرها في الغُرفةِ قائلةً " : أُنظُر يا بُنيَّ إلي غُرفتها فهي أيضاً حزينةٌ عليها "

إزدادَ حُزنُ - عُمر - بسماعِ كلماتِ الجدَّة بل آلَمتهُ كسكينٍ إخترقَ قلبه

فأخذَ يتجولُ هوَ الآخرُ بنظرهِ في غُرفةِ - سَهر - ويقول " : كما الدينُ نُحَمِلَهُ كُلَ أخطائنا وتصرفاتنا وننسبها إليهِ وهو بريئٌ مِنها بل وأطهرُ وأنقي مِن ذلك

فالدينُ يُحارِبُ جَهلنا وأفعالنا الهوجاءِ ونحنُ نصنَعُ مِنهُ عُذراً لأفعالنا ونُشَوهَهُ وهو النورُ والصدقُ الذي يُريحُ أرواحنا"

ثُمَّ تركَ الجَدَّةَ وأخذَ يتجولُ بالغُرفةِ كعابدٍ زاهدٍ في محرابِ الحُبِ

يَلمسُ كُلَ شيءٍ يتعلقُ بِ - سَهر - مِن مُقتنياتٍ وغيرها وهوَ يقولُ " : هُنا جَسلت - سَهر - تُري بماذا كَانت تُفَكِّر ؟ كانت تَقِفُ أمامَ هذهِ النافذة"

فوقفَ - عُمر - أمامَ النافذة وقالَ " : هل كانت تَري طيفي أمامها كما كُنتُ أري طيفها ! هذهِ أزهارها التي كانت تُكلمني كثيراً عنهم"

ووضعَ يدهُ علي التُربةِ وقال " : لَم تنساهم أيضاً" !

غَرقَتْ الجَدَّةُ في البُكاءِ مِن كلماتِ - عُمر-

ثُمَّ رأي - عُمر - سجادَةَ الصلاةِ والمصحف فأخذهم وضمَّهم إلي صدرهِ وهوَ يقولُ : "لَن يخذلنا اللهُ يا جَدَّتي فالكُلُ يحتاجُها فهي مِن آياتِ اللهِ علي الأرضِ"

ففردَ - عُمر - سجادَةَ الصلاةِ علي الأرضِ ليجدَ بها ورقةً بيضاءً صغيرةً مكتوبٌ عليها " : أحببتُكَ أكثرَ مِن نفسي"

فإنهارَ - عُمر -وفقدَ قواهُ وخرَّ ساجداً علي الأرضِ وأخذَ يدعواْ اللهَ وقد تبلَّلَتْ الوَرقةُ وضاعتْ ملامِحُها بينَ دموعهِ الغزيرَة

أسندَ ظهرهُ إلي الحائطِ وأخذَ يقرأُ الواقعَ الذي حولهُ لكِنَّهُ كانَ مُشتتاً والخوفُ علي - سَهر - يشغلُ فِكرهُ وقلبه

قتلتهُ كلماتُها فلمْ تعُد لديهِ القوةُ ليُكمِلَ الطريقَ فكُلُّ كلماتِ الأملِ والإطمئنانِ والسلامِ قد ذهبت

فلمْ يبقي شيئاً سوي الخوفُ والضياع

أخذَ يتسائَلُ هَل هُناكَ مِن أحدٍ سيمسكُ يدهُ ويقولُ لهُ إنكَ بخير!

يقولُ لهُ أنَّ - سَهر - بخير!

لا ، لا يوجَد أحد!

ثُمَّ رفعَ رأسهُ فوجدَ الممرضةَ أمامهُ تنظرُ إليهِ ويبدواْ أنَّها ستزفُ إليهِ نبأً عظيماً فأومأَ لها برأسهِ كي تتحدث

قالَت المُمرِضَةُ لهُ " : لقد انتهينا الآنَ وجئتُ كي أُخبرُكَ بنتائجِ تحاليلِ - سَهر" - شَعُرَ - عُمر - بضيقٍ شديدٍ في التنفُسِ وكأنَّ سكيناً حاداً تُمزّقُ أمعائهُ فأخرجَ صوتاً كالأنينِ مِن جوفهِ وقالَ " : إنّي أسمعك"

المُمرِضَة " : نزيفٌ في الرأسِ وتحتاجُ إلي عمليةٍ بأسرعِ وقتٍ وهذهِ المشفي لنْ تصلُح ، سننقلها إلي مشفي كبيرٍ في المدينة

لكِن نريدُ أنْ تُوقعَ علي بعضِ الأوراقِ لأنكَ المسؤولُ عنها ، ونحن سنقومُ بكافةِ الإجراءاتِ وسنكون جميعاً بجانبها"

مدَّ - عُمر - يدهُ لإستلامِ الأوراقِ وأخذَ يوقِّعُ دونَ هَدي واستغربَ مِن أحرفهُ التي قد خانتهُ وستُرسِلُ روحَهُ إلي المشفي

فارتجَفتْ يداهُ وتبعثَرَتْ الكلماتُ علي لسانهِ لتختارَ جُملةً واحدةً .. واحدةً فقط " : هَل سأفقدها ؟" !

رَدَّت المُمرِضَةُ عليهِ قائلةً " : لا تقلق سنفعلُ كلَ ما بوسعنا والشفاءُ بيدِ الله .. ادعواْ اللهَ لها"

نظرَ - عُمر - إلي الجدَّة وقد أغرقها البُكاءُ فقالتْ الجدَّةُ بصوتٍ هادئٍ يملؤهُ الحُزن : "يارب"

خرجَ - عُمر - مِن الغرفةِ وأخذَ يتمَشَّي في الممرِ ، البياضُ يقتلهُ الآن يذكِّرهُ بشفاةِ - سَهر - والغطاءُ المسدلُ عليها

كلُ شيءٍ بالمشفي يدعواْ إلي الذعرِ، الكلماتُ والأشخاصُ ورائحةُ المُعَقِّمِ تُزيدُ مرارةَ حلقهِ ووجعِه

خرجَ مِن المشفي وتركَ سيارتهُ هُناك ، يتمشَّي في الطرقاتِ لا سبيلَ لديهِ سوي الهروب!

ولكِنْ ماذا لو فقدها ؟ هَل سيفقدُ الحياةَ مرةً أُخري ؟

لماذا أحبَّ ، لماذا عادَ إلي الوطنِ فكُلُ شيءٍ هُنا يدعواْ إلي الألمِ

الألمُ الآنَ يعتَصِرُ صدرهُ ، الجو كئيبٌ أيضاً والضبابُ يسكنُ المدينة

يتمشَّي في ضياعٍ لا يودُّ أنْ يُثيرَ أيَّ حديثٍ أو نقاشٍ فلمْ تعُد هُناكَ أيُّ كلمات

كُلُ شيءٍ يدعواْ إلي الغيابِ ، ماتت الكلماتُ في غيابها

عزلوها عن الواقعِ واختاروا لها الصمتَ قسراً وظُلماً

كُلُ شيءٍ في هذهِ المدينةِ يدعواْ الي النفورِ فالإرهابُ يسكنُ ملامحَ البشرِ

الحياةُ صعبةٌ هُنا فكيفَ لها أنْ تكونَ وردةً بيضاءَ بينهم

ثُمَّ نظرَ إلي المسجدِ وقد تعالتْ أصواتُ الآذانِ شيئاً فشيئا

وقفَ أمامَ المسجدِ وقد شعُرَ بغربةٍ أيضاً

نفسُ الشعورِ الذي كانَ يشعُرُ بهِ في الغربةِ حينما يُذكَرُ الإسلام

أبداً لنْ يدخُل ، لنْ يفعلْ شيئاً سوف ينعزلُ عن هذا العالم

لمْ تعُد الحياةُ سعيدةٌ أبداً فأفعالُ البشرِ تقتلُ الحُبَّ بداخلنا

كُلُ شيءٍ يدعواْ إلي الإلتزامِ سيبتعدُ عنهُ فيكفيهُ ألماً لمْ يعُد يحتمل

وصلَ أخيراً إلي بيتهِ ، تسارعتْ خطواتهُ علي السُلَّمِ كأنَّ أحداً يَلاحِقُه

تذكَّرَ هذا المشهدَ حينما كانَ في الغربةِ ويلاحقهُ بعضُ الأشخاصِ الغاضبينَ مِن أفعالِ الإرهابيين

فتحَ البابَ وأغلقهُ بقوةٍ وجلسَ علي الأرضِ خلفَ البابِ وأخذَ يبكي كطفلٍ صغيرٍ فقدَ أُمَّهُ وهوَ في أمَسِّ الحاجةِ إليها

ثُمَّ عادَتْ التساؤلاتُ مرةً أُخري " ماذا لو فقدَ - سَهر! -

وبدأ يُخاطبُ نفسَهُ ماذا سأفعل!

لا لنْ أفقدها أنا أعلم ، هي أيضاً لنْ تترُكني لقد وعدتني بذلك

ولكِن ماذا لو فقدتُها ! سأغادرُ الوطنَ وأعتزلُ الناس

لكِن هذا ليسَ الحلُّ فما هوَ الحلُّ إذاً!

ولماذا هي تؤثرُ بي هكذا!

ألأنَّها ملجأي ووطني!

فهل أنا ملجأها أيضاً!

لا لستُ ملجأها .. هي ملجأها الله

ردَّدها - عُمر - ثانيةً " الله"

وأخذَ يصرخُ بها في المنزلِ ويبكي بُكاءً شديداً ويقولُ خلِّصني يا اللهُ فأنا لمْ أعُد أحتمل

ثُمَّ نامَ علي جنبهِ الأيمنَ وضمَّ رجليهِ إلي صدرهِ

وبعد فترةٍ ليستْ بالقصيرةِ جَفَّتْ دموعهُ ولمْ يبقي سوي السرابُ ومساحةٌ مِن الهدوءِ نزلت عليهِ مِن الرحمنِ الرحيمِ

لمْ تعُد عيناهُ تُبصرا بشكلٍ دقيقٍ فقد إقتصرَ نظرهُ فقط علي نملةٍ صغيرةٍ تُحاولُ أنْ تصعدَ علي إصبعِ يدهِ ولكنَّها تفشلُ في كلِ مرة

ويدهُ مرتخيةً علي الأرضِ وهي تحاولُ ثُمَّ تحاولُ وتُحاولُ وفي كلِ مرةٍ تفشل

وهوَ يراقبُها بينَ الوعي واللاوعي

لكِنَّها لمْ تستسلمْ وغيَّرتْ طريقها

رُبَّما غيرتْ طريقةَ تفكيرها

وذهبت لمنطقةٍ أكثرَ مُساواةٍ مع الأرضِ

صعدتْ علي يدهِ ووصلتْ للإصبعِ الذي كانتْ تُحاولُ الوصولَ إليهِ

ووقفتْ أمامَ - عُمر - متحديةً له

توصِّلُ لهُ رسالةَ اللهِ مِن أضعفِ خَلقه

ابتسمَ - عُمر - وقالَ شَكراً يا رَبِّي ونامَ مِلئ جفونه..

رُسلُ المحبةِ اللطيفةِ كانت تدُقُّ النافذةَ بلا هوادةٍ لتوقِظَ - عُمر - مِن سُباتهِ الطويل

فتحَ - عُمر - عيناهُ بتثاقلٍ كبيرٍ ونظرَ إلي نافذةِ الحياةِ كالغريقٍ فلم يعُد علي قيدِ الوعي في هذا الصباحِ الشريد

صوتُ الأطفالِ يأتي مُتناغماً مع العصافيرِ وهو وحيدٌ ، كلُ الفرحِ خارج هذا المنزلَ التعيس

وما زالَ الضبابُ كثيفٌ ، لا الفجرُ يُبَدِّدُ الضبابَ ولا الواقعُ يُعِيدُ ترتيبَ النشيد

الغريبُ يبحثُ عن نفسهِ في وطنه ، والوطنُ يتنكَّرُ كل بعيد

فلم تعُد تتشابهُ مفرداتنا حتي مِن بعيد ، لكلٍ منا أسلوبهُ في المفرداتِ والتراكيبِ

وبعزمٍ كبيرٍ جلسَ - عُمر - علي الأرضِ ومدَّ أطرافهُ ليتخلصَ مِن شعورِ الخدرانِ الذي أصابهُ مِن نومهِ علي الأرض

عادَ برأسهِ للخلفِ وأغمضَ عينيهِ وبلحظةِ تُجاري الجنونُ صرخَ مِن أعماقهِ - سَهر -

أخرجَ الهاتفَ مِن جيبهِ وفتحهُ ووجدَ عِدةَ مُكالماتٍ مِن المُمرِضةِ ذاتها ورسالةٌ مِنها أيضاً

نظرَ إلي شاشةِ الهاتفِ ووجدَ نفسهُ لمْ يبق لهُ أيَّ شعورٍ سُوي أنهُ مُستعدٌ لتقبلِ المزيدَ مِن الألم

فتحَ الرسالةَ وقرأها " : نجحتْ عمليةٌ - سَهر - وهي بخيرٍ الآن وقد افاقتْ"

فتحَ البابَ وخرجَ مِن البيتِ فلمْ يعُد الضبابُ كئيبٌ ولمْ أعُد وحيدٌ إنَّني معَ بريقِ عينيها أتنفسُ مِن جديد

هو الحبُ يجعلُنا في لحظةٍ مجانينَ هوَ سيئٌ وجميل

عفويٌّ ومتكلفٌ كبير ، عنيدٌ ويحملُ في طياتهِ الألمَ ومتسامحٌ رقيق

مشرقٌ كعيني - سَهر - ومظلمٌ في خوفنا ولهفتنا

هو الجميعُ وفي أوقاتٍ يجعلُكَ وحيدَ الذكرياتِ والكلامِ الجميل

هو قاتلٌ وفي أوقاتٍ أُخرى يبعثُ الحياةَ في كلِ التفاصيل

قادَ - عُمر - سيارَتهُ إلي المشفي للتأكدِ مِن وصولِ الربيعِ وقفَ خلفَ الزجاجِ ورأي -سَهر - وودَّ أنْ يحتضنها بكلِ رقةٍ بينَ يديه

سيكونُ معها كطيفٍ خفيفٍ ، ولكنْ تُري ماذا تفعلُ الآن ؟

فرآها تقرأُ الفاتحةَ وترفعُ عينيها إلي السماءِ شاكرةً الله

تراجعَ - عُمر - خجلاً مِن اللهِ ومِن نفسهِ ومِن - سهر - كذلك

كانت خطواتهُ متسارعةً إلي الخارجِ لا ينوي علي شئٍ سوس الهرب

ولكِنَّهُ تذكَّرَ تلكَ النملةَ وكيفَ نجحتْ وقالَ هي طريقةُ التفكير

فتحَ هاتفهُ الجوالَ واتصلَ برئيسِ تحريرِ الصحيفةِ التي يعملُ بها

عُمر " : مرحباً أُستاذ جلال"

الأُستاذ جلال " : أهلاً - عُمر - أينَ أنت"

عُمر " : إنَّني مُتعبٌ الآنَ وأحتاجُ إلي أجازةٍ مفتوحة"

الأستاذ جلال " : لا يا - عُمر - سيقفُ العملُ هكذا وأنتَ تعلمُ أهمية وجودك"

عُمر " : لا تخفْ سأُراسِلُكَ إلكترونياً ولنْ يقف شئ"

الأُستاذ جلال " : عُذراً يا - عُمر - ولكِن هوَ العملُ ، أتمنى أنْ تكونَ بخير"

عُمر : لا عليكَ أُستاذي ، سأكونُ بخيرٍ إطمئن"

خرجَ - عُمر - مِن المشفي وجلبَ سيارتهُ وتأكدَ مِن وجودِ المصحفَ وسجادةَ الصلاة

ذهبَ إلي إحدي المكتبات الدينيَّة ليجلبَ تفاسيرَ القُرآنِ وكُتبَ الأحاديثِ النبويَّة

لنْ يسمع لأحد ، هُناك دينٌ كاملٌ ومشروح

إعتزلَ - عُمر - الناسَ وسَهر وكُل شئٍ لكِن في الجانبِ الآخرِ كانَ ينمواْ كغرسٍ جديدٍ في أرضٍ خصبة

كانَ يَحْيا مِن جديدٍ وكانتْ كتاباتهُ هي الأُخري تحيا مِن جديدٍ ولاقت إعجابَ الكثيرِ مَن القُراءِ أكثرَ مِن ذي قبل

ولكِن - سَهر - كانتْ قلقةً عليهِ ولمْ تسمح لنفسها بالإتصال به

علِمتْ مِن المُمرِضة أنَّهُ وصفها بخطيبته ، ولكنَّها تشعرُ بهِ في كلِ سطرٍ مِن كلماتهِ وبكلِ حرف

ولكِن تُري هل يعتني بنفسهِ جيداً ؟ سأتركهُ كي يُلاحقُ النجاحَ والفرحَ لنْ أضغط عليهِ ثانية

كانتْ تقومُ بوظيفتها بالمشفي علي أكملِ وجهٍ لكِنْ هُناكَ مَن سرقَ مِن وجهها الألقَ التي كانتْ تتحلى بِه

أصبحتْ تصطنعُ الضحكاتِ لولا وجودِ الجدَّةِ - عائشة - بجانبها لأعتزلت هي الأُخري

رنَّ هاتفُ - سَهر - وهي تجلسُ مع الجدَّةَ وكانَ الرقمُ غريباً

قالتْ - سَهر - باستغرابٍ " : رقمٌ غريبٌ لنْ أجيب عليه"

قالتْ الجدَّة لها " : هذا أفضلُ يا بُنَيَّتي لا تُجيبي"

عاودَ الإتصالَ بشكلٍ متكررٍ ومزعجٍ فقالت الجدَّةُ يجبُ أنْ تُجيبي عليهِ فمنَ المُمكنِ أنْ يكونَ أمراً هاماً"

سَهر " : حسناً يا جدتي سأُجيبُ عليه"

فأجابت قائلةً " : السلامُ عليكُم ورحمةُ اللهِ وبركاته .. مَنْ معي"

الخالةُ نور " : وعليكُم السلامُ ورحمةُ اللهِ وبركاته .. أنا - نور - خالةُ - عُمر" -

إنتفضَ قلبُ - سَهر - حينما سَمِعَتْ إسمَ عُمر

وقالتْ " : أهلاً بكِ يا خالتي"

الخالةُ نور " : مثلما تحدثَ عنكِ - عُمر - أنتِ لطيفةٌ جدًا ويبدواْ أنك ستُصبحينَ بُنيَّتي أيضاً"

ابتسمتْ - سَهر - خجلاً مِن كلماتِ الخالةُ - نور - وقالتْ " : يسعدُني ذلك يا خالتي "

الخالةُ نور " : إذا إستعدي غداً سوفَ نزروكِ أنا و - عُمر - لنطلب يدكِ مِنَ الجدَّةِ - عائشة" -

ضاعَتْ الكلماتُ مِن مُخيلةِ - سَهر - ولَزِمَ لسانها الصمتُ ولمْ تتفوه بكلمةٍ واحدة

الخالةُ نور " : هل هُناكَ قبولٌ يا بُنيَّتي ؟"

سَهر " : نعم يا خالتي فهوَ يعني لي كُلَ شئ"

الخالةُ نور " : إذاً وفقكما الله .. غداً سنكونُ أمام بيتكِ الساعةَ السادسةَ مساءً بإذن الله "

سَهر " : مرحباً بكُما في أيّ وقت"

أغلقتْ - سَهر - الهاتفَ وركضتْ مُسرعةً بإتجاهِ جدَّتها واحتضنتها بقوةٍ وهي تقولُ :" سيأتي - عُمر - مع خالتهُ غداً ليخطبني منكِ .. أنا سعيدةٌ جداً"

الجدَّة " : السعادةُ لا تليق إلا بكِ يا بُنيَّتي .. أُرقصي طرباً فأنتِ تستحقينَ كُلَ الخيرِ .. وفقكِ الله"

كوبٌ مِن منقوعِ الأعشابِ الدافئةِ أعدتهُ - سَهر - وأمسكتْ بهِ بقوةِ المطرِ الذي يضربُ الأرضَ وهي تستمعُ لتناغمهِ خارجاً

جلستْ علي الأريكةِ في عتمةِ الليلِ تُحاكي الغيابَ ورائحةَ الشتاءِ تُحيي كُل الذكريات

الذكرياتُ تأخذنا دوماً إلي مَن نُحبُّ دونما إستئذانٍ وبلا هوادةٍ تطرقُ الذاكرةَ بلا مللٍ لتخرج كُل ما في جعبتنا مِن حزنٍ وفرحٍ وأملٍ .. وأحلام

نودُّ أنْ تكونَ أحلامنا في بعضِ الأوقاتِ واقعاً نعايشهُ لو في ظلِ الخيالِ نرضى بهِ بكُلِ إمتنان

الأحلامُ كانتْ - عُمر - وآرائهُ التي أصبحتْ أكثرَ نُضجاً في الآونةِ الأخيرةِ وحُبَّهُ الكبيرُ المسافرُ دوماً لدُنيا الصمتِ والهروبِ وهي - سَهر - وشعورها الصادقُ حينما هاتفتها خالتهُ وسمِعتْ إسمهُ وأخبارهُ وعهدهُ الذي ما زالَ قائماً

فرغمَ كُل شيءٍ ، رغمَ الصمتِ ودوي المطرِ وغيابهُ المُفتعلُ ما زالتْ تُحبّهُ وتعطيهُ الأعذارَ وتتفهَّمهُ أكثرَ مِن نفسه

كانت تتمنى أنْ يكونَ بجانبها في المشفي ، أنْ يكسرَ حاجزَ الخوفَ وأنْ يُحدِّثها ويقرأ لها الكُتبَ وتنظرُ إلي عينيهِ وتستمعُ إلي صوتهِ العميقُ المسافرُ دوماً لمدنِ الجمالِ البعيد .. أنْ يستعيدَ ثقتهُ بنفسهِ ويطردُ التردد والهروب .. لم يكن هناك!

أعلمُ أنَّهُ كانَ يبحثُ عنْ نفسهِ وكانَ مشوارهُ طويل

لقد سامحتهُ في أولِ مقالٍ قرأتهُ له ! عفتْ عنهُ وددتُ أنْ أُهاتفهُ أنْ أتصنَّعَ الكلمات شوقاً له ، أنْ أَشيرَ إلي غيابهِ

لكِنْ احترمتُ قرارهُ ولبستُ الجمودَ دعماً لهُ ولزمتُ هزائمي بصمت

حينما تُحِبْ .. ويكونَ حبُّكَ حقيقياً صادقاً يُصادقُ القلبَ فإنكَ تتمني الخيرَ لمنْ تُحِبَ وتكفيكَ سعادتهُ وتحتملُ وتنسي كأنَّكَ ما كُنتَ وتبقي المشاعر تحاكي الفقد!

قربهُ إلي اللهِ جعلني أسموا بهِ في كُلِ مقالٍ عمقٍ جديدٍ وحُبٍ جديدٍ وقربٍ إلي الله

كيفَ لا أعفوا عنهُ واللهُ جلَّ جلالهُ يصفحُ عن البشرِ وهذهِ المشاعرُ التي لا ترحمُ المحب

منْ أنا في ملكوتهِ ، منْ أنا في اختيارِ الحبِ سوي فتاةٌ بسيطةٌ تبحثُ عن الرضا تبحثُ عن السعادةِ في دُنيا الصمت

وافقتُ وقرَّرتُ بأنَّني سأكون لهُ زوجةً وأُماً وحبيبة!

لنْ أتركهُ يضيعُ مِن جديدٍ فالحبُّ أرفعُ مِن كلماتِ الوعيدِ وأنْ تُعاتبَ الحبيب

الحبُّ تسامحاً وميلاداً وحياةً جديدةً مع مَنْ تُحبْ

وفي الساعةِ السادسةِ مساءً كانَ - عُمر - يقفُ هو والخالةُ - نور - أمامَ منزلَ - سهر-

وكانتْ المرَّةَ الأولي التي يدخلُ بها - عُمر - منزلها

كانَ يوماً جميلاً وبهيَّاً فقد كانَ البيتَ يحتفلُ معها بقدومِ - عُمر - فكانَ وجههُ مشرقاً وسعيداً وآذاناً يلوحُ بالإطمئنانِ مِن جديد

بدأ - عُمر - الحديثَ قائلاً " : أُعرِّفكِ يا خالتي هذهِ - سَهر - وهذهِ الجدَّةُ- عائشة - جدَّتي وجدَّة - سهر - أيضاً

الخالة نور " : أهلاً بكم ، شرفٌ لي التعرفَ عليكم - سهر - الملاكُ اللطيفُ الذي يزهواْ دوماً بها الحديثَ

والقلبُ الكبيرُ الجدَّةُ - عائشه - أخبرني - عُمر - عنكم فأحببتكم قبل أنْ ألقاكم"

سهر " : وأنا أيضاً يا خالتي سعدتُ بكِ جداً"

الجدَّةُ عائشة " : أهلاً بكم تفضلواْ"

وبعد لحظاتٍ ليستْ بالطويلةِ قال - عُمر " : - أستأذنكم سأتحدثُ قليلاً إلي - سهر - "

الجدَّةُ عائشة " : تفضَّل يا بُنيَّ سننتظركم في الصالة"

أخذت الخالةُ - نور - الجدَّةَ - عائشة - خارجاً وبقي - عُمر - و - سَهر - وحدهما

جلسا سويَّاً وتحدثا قليلاً فقالَ - عُمر " : - الكلامُ كثيرٌ يا - سَهر" -

ونظرَ إليها برهةً وأتمَّ " : لنْ أصيغهُ وأفتعلُ التمثيلَ أمامكِ كي تعفي عنَّي .. لا ، انَّني قبلَ حُبِّي الكبيرَ لكِ أحترمكِ ككيانٍ رفيعٍ لهُ مكانتهُ واحترامهُ الدقيق ، أنتِ روحي التي تسمواْ بي وأزهواْ بها ولا أستطيع التملُّقَ أمامها"

وأخذ صوتهُ يقوي ويُغادرُ التردُّدَ الذي عرفتهُ فيه

وقفَ أمامَ النافذةَ وقالَ " : كُنتُ أطمئنُ عليكِ كُل يومٍ ، لمْ أنساكِ لحظةً واحدةً"

ووضعَ يدهُ علي زجاجِ النافذةِ واسترسلَ " : لكِنَّني خجلتُ مِن نفسي لهذا لمْ أظهر أمامكِ وجدتها أصغرَ وأجبنَ مِن أنْ تلقاكِ وبها هذا الضعفُ الكبير

اعتزلتكِ واعتزلتُ الناسَ جميعاً وكنتُ أعرفُ عنكِ جميع أخبارِكِ"

وكادَ صوتهُ أنْ يختنقُ فأغمضَ عيناهُ وأخذَ يمسحُ دموعهُ فوضعتْ - سَهر - يداها علي كتفهِ ، وواصلَ - عُمر - باكياً " : لقد كُنتُ وحيداً بغيابكِ ووددتُ أنْ أتخلصَ مِن غربتي بقربي مِن الله

كنتُ أبحثُ عنْ نفسي لتفرحي بي ، لتثقي بي في المستقبلِ وقد وجدتُ نفسي الآنَ واكتملت الصورة

لقد أصبحتُ الآنَ إنساناً قوياً وأريدُ أنْ تعفي عني ، لكي أُكملَ طريقي معكِ أنتِ فقط "

والتفتَ إليها وهي تقفُ خلفهُ تستمعُ إليهِ بلفهةٍ ورفعتْ يدها لتمسح دموعهُ وقالت : "كُنتُ أترقبكَ مِن بعيد .. أجمعُ أخبارَكَ مِن كُلِ غريب

وددتُ أنْ أكونَ أقربَ الناسِ إليكَ ولكِنَّني لمْ أحظي بهذا الشرف

ولكِنْ كنتُ أفهمكَ بشكلٍ جيدٍ فالحُبُ يتطورُ بشكلٍ رهيبٍ يا - عُمر-

هوَ يجعلكَ في أوقاتٍ متسامحٍ كبيرٍ ويعطيكَ قلبَ أُمٍّ وخوفها علي طفلها الوحيد

لا تقلق لقد سامحتكَ مِن أولِ صحوةٍ في مقالكِ العميق ، كنتُ معكَ بكلِ حرفٍ بكلِ تعبيرٍ .. فلا تبكي أرجوكَ لأنَّني لا أحتمل المزيد..

عُمر " : هل سامحتني يا - سَهر - هل تجاوزتِ عن موقفي ، هل" ..

لم تَدعهُ - سَهر - يُكمِل حديثه ووضعت يدها علي فمهِ وقالت " : وكيفَ لا وأنا مَن قُلتُ لكَ ابحثْ عَن نفسك

كيفَ لا وبالحبِ تَجدَّدَ إيمانكَ ووجدتَ الطريق

كيفَ لا وأنتَ حُبي الوحيد"

عُمر : هوَ الحُبُّ يا - سَهر - مَن يجعلنا نقوي ونستمرُ ، هوَ مَن يُساندنا لآخرِ لحظةٍ ولا يخذلنا ويرشدنا للطريقِ الصحيح"

ومسكَ يدها وقالَ " : إذاَ هل تقبلينَ بي زوجاً وأباً وعصراً جديد ، كوني لي"

وجدَتْ - سَهر - نفسها بينَ يديهِ كطفلةٍ وجدَت عالمها التي كانَتْ تبحثُ عنهُ مُنذُ سنينَ وقالَتْ " : نعم أقبَل"

وأمامَ نافذةَ المساءِ يقِفَ - عُمر - بهمةٍ عاليةٍ وعيناهُ مُفَعَّمَةٌ بالثقةِ والمحبةِ وإبتسامةٍ رقيقةٍ تُحاكي السلامَ والعزيمةَ الكُبري

لمْ تعُد الحياةُ تَهُمَّهُ في هذا الكَم مِن التفاصيل فلقد زهِدَ بها وبأشيائها التافهة

التي كانت تشغلُ بالهُ وفِكرَهُ السطحيَّ الذي يجلبُ الحزنَ لنفسهِ فأصبحت رؤيتهُ للأمورِ أكثرَ عُمقاً

ينظرُ إليها ببصيرةٍ عاليةٍ لمْ يعُد يهتمُّ بشكلياتِ الأمورِ

وسيفعلُ كُلَ شيءٍ يُقرّبَهُ من الله ، وكُلَ شيءٍ يُبعِدَهُ عنهُ سيقطعُه

ثُمَّ نظرَ - عُمر - إلي الأفقِ وقالَ " : إكتسبتُ في هذهِ الأيامِ هِمَّةً عاليةً تُعادلُ الجبال

أشعرُ أنّي كنجمٍ يُضيئُ السماءَ يُكسبني الدينُ نوراً وصفاءً وبريقاً يجعلُني أرتقي في كُلِ لحظة

فما أجملَ القُربَ مِنكَ يا الله ، لقد جعلتني رحيماً وعطوفاً قلبي يُصافحُ جميعَ القلوبِ ويتحِدُ مع نصفي الآخر - سَهر-

إبتسمَ - عُمر - وهو يقولُ هي الطيبةُ والحِشمَةُ والعِفَّةُ - سَهر - النقاءُ والطُهرُ والشجاعةُ والكرم

إني أحيا من جديد

فعندما أُفكِرُ بها يلمسُ قلبي بريقَ الألماسِ أرتقي بها وأفتخر

هي سرُ الإبتسامةِ العفويَّةِ البريئةِ التي سأُحافظُ عليها كجوهرةٍ ثمينةٍ ..

كانت هذا المساءُ كالبدرِ المتلألأ في السماءِ تنسجُ خيوطَ الشمسِ الذهبيَّةِ أينما حلَّت وارتحلت

وستزينُ الجدَّةُ - عائشة - بيتنا بالبركةِ والطيبةِ ونكونُ بارينَ بها بإذن اللهِ ليبتدأ العملُ إذاً

أولُ خطوةٍ ستكونُ في نُصرةِ الإسلامِ سأُدَمِّرُ ذاكَ الحاجزَ الذي أتعبني دوماً

وستكونُ الفكرةُ مِن موقعي وإختصاصي فلكُلٍ مِنَّا في هذه الحياةِ مجالٌ يستطيعُ أنْ يُمثلَ الإسلامَ بهِ ويُظهرهُ في صورتهِ الحقيقيَّة

رسالةُ صحوةٍ مِن شابٍ أبهرتهُ أضواءُ الحضارةِ وابتعدَ عنْ جوهرِ السعادة

صديقي العزيز - مارك " : - السلامُ عليكُمُ ورحمةُ اللهِ وبركاتُه

تحيةُ الإسلامِ التي تحملُ في ثناياها السلامَ أقرأُها عليكَ فخراً وعِزاً يحملُني كي أرفعَ رأسي نحو السحابِ ليس غروراً دونَ علمٍ بل إفتخارٍ وعز

أُفكرُ الآنَ بكُم ، وأستغربُ كيفَ لحضارةٍ قائمةٍ علي العلمِ أنْ تتهِمَ ديناً بالإرهابِ

بسببِ أفعالٍ خسيسةٍ قاموا بها أفرادٌ بإسم الدين

وأقولُ أين البحثَ عن الحقيقةِ التي تصرونَ عليها دوماً ولا تقبلواْ أيَّ فكرةٍ إلا بالدليلِ الواضح

فهل توقفتُم حينما تعلَّقَ الأمرُ بالدينِ الإسلامي!

إنَّني أتحلى الآنَ بالسلامِ والمحبةِ والرضا التي كُنتُ أفتَقِدُها وأعتصرُ ألماً بغيابها ولمْ يكُنْ ينقُصني شيئاً في بلادكم

إنَّني لا اهاجمُكَ ولا أُهاجمُ حضارتكُم فديننا يدعونا الي إحترامِ الجميعِ وحفظَ حقوقهم

لكِنّي أدعوكَ كي تكونَ عادِلاً في مجالِكَ كصحفيٍّ كبيرٍ في دولةٍ متطورة

أنْ تبحثَ عن الحقيقةِ لا أكثرَ وأرجواْ في هذه المرَّةِ أنْ يكونَ بحثكَ لا يعتمدُ علي الأشخاصِ وإنما علي دستورِ الإسلامِ وهو القرآنُ الكريم

فهو أكبرُ مِنْ أنْ نُحاكمهُ بتصرفاتِ أشخاصٍ عنوانهم الجهلُ والعبوديَّةُ لأشخاصٍ آخرين

عزيزي : لقد كنتُ أجهلُ حقيقةَ ديني وأنظرُ إلي الحضارةِ بلهفةٍ قُصوى

مُعتبراً أحكامهُ تقاليداً باليةً لا تُحاكي النجاحَ والتطور

وقد دمعت عينا - عُمر - وقالَ سامحني يا اللهُ فلقد كنتُ جاهِلاً..

واستأنفَ : ورُبَّما كنتُ أعاندُ نفسي بسببِ الغرورِ الذي اكتسي شخصيتي

والانبهارُ بأشياءٍ تافهةٍ وزائلةٍ ولمْ أتفكر بنظامِ الكونِ وكيفَ يسيرُ بدونِ قوةٍ هائلة

تعلمتُ أشياءَ روحيَّةٍ في شخصيتي وعرفتُ الحقيقة

قابلتُ إرهابيينَ هُم لا يمثلونَ ديننا في شيءٍ فقط هُم آداةٌ لقوةٍ خفيَّةٍ تُحركهم في الظلامِ ليشوهواْ الإسلامَ ويقضواْ عليه

لمْ تكفهم هذهِ التصرفاتِ الجبانةِ بلْ فرقونا بمسمياتٍ أكبر

فأصبحنا فرقاً نتناحرُ فيما بيننا ونسينا أننا سنقابلُ اللهَ أفراداً وليس جماعات

كُلُ واحدٍ مسؤولٌ عن نفسهِ ولنْ يُرَدُّ ذنبهُ علي البيئةِ أو الجماعة

الظلمُ يا صديقي رائحتهُ سيّئةُ جداَ

بلْ هي نتنةٌ جداً وإنّي أشُمها الآنَ بسببِ شعوري بهذا الظُلم

ليسَ هُناكَ دينٌ يا صديقي يسمحُ بزهقِ الأرواحِ عمداً

الإسلامُ لا يسمحُ بهذا فهو دينُ السلامِ والرحمة

رسالةُ محبةٍ تُخاطبُ القلوبَ لتتآلفُ علي الخير

الإسلامُ ليسَ ضِدَّ أيَّ دينٍ بل هوَ مكمِّلٌ للأديانِ السماويَّة عالميٌّ جاءَ للناسِ كافة

لمْ أحُد عليِ الإيمانِ فهي رسالةٌ يؤمنُ بها من لامسَتْ قلبهُ وعقلهُ الحقيقة

وأخيراً الهدفُ مِن هذهِ الرسالةِ إنصافُ الدينِ الإسلاميّ

فقد لامستُ بكَ في أيامِ دراستنا الجدِّيَّةُ في العملِ والبحثِ دوماً عن الحقائق

لكِنِّي أتمنى إنْ لامستَ تلكَ الحقيقةُ ألا تبخلَ بها وأنْ تُخرجَها إلي النور

هذهِ القضيَّةُ الهامةُ التي تنالُ الآنَ هجوماً شرساً ليسَ عادلاً

فليسَ مِنَ العدلِ ابداً ألا تنالَ فرصةً واحدةً للإستماعِ إليها

في النهايةِ أتمني أنْ تصلكَ قبسٌ مِن الراحةِ التي وصلتْ إلي روحي

أستودِعُكَ الله..

-إنتَهتْ

وأتمني أنْ تكونواْ قَد إستمتَعتُم بِها

أتمني أنْ تكونَ قد رآقتْ لِذآئِقَتكم

كُل الشُكر لكُل مَنْ تآبع

كُل الشُكر لكُل مَنْ شَجَّع

كُل الشُكر لرُقيّ فِكركُم

أدآمَكُم الله بخير

إني أحيا من جديد